# حقائق من تاريخ العلماء [1]

## المرجع الديني الراحل
## السيد محمد الحسيني الشيرازي
## قدس سره

عدد الصفحات ١٠٤
سنة الطبع ١٤١٩ هـ ١٩٩٩م

## كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا كان مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء فكيف تكون سيرتهم؟

لا شك أنها ستكون رحلة مع عالم مليء بالفضائل والأخلاق الحميدة وسفر مع قافلة المثل النبيلة التي ترفد الإنسانية بمواقف تبتعد عن كونها قصص للعبرة فقط، بل أنها أسفار للحكمة والعظمة التي تجلت في هذه الشخصيات..

وينقلنا كتاب (حقائق من تاريخ العلماء) إلى هذا العالم الفضيل في رحلة زادها العلم وراحلتها التقوى ووجهتها المعرفة الإلهية والمواقف الثابتة،

رحلة مع الكرامات والفضائل مع السجايا والصفات الرفيعة ومع المواقف البطولية التي أوقفوا بها تيار الضلال أن يحكم قبضته على رقاب المسلمين، وقد اختارها السيد المؤلف (دام ظله) من بين آلاف القصص والسير إيماناً من سماحته بالمنهج الأخلاقي الذي رفع هؤلاء الأعلام إلى هذه المراتب.

والكتاب يضع بين أيدينا مقاييس للتمييز وفرز المواقف التي أرسى هؤلاء العلماء قواعدها لنستمد منها الدروس والعبر لاستدامة المنهج الإسلامي القويم.. وصونه من الانحراف..

---

[1] ملاحظة: أخذنا هذا الملف من الانترنيت ولابد من مطابقته لأصل الكتاب للتأكد من سلامته، حيث من المحتمل حصول بعض التقديم والتأخير والتغيير في الملف الالكتروني.

مقدمة المؤلف
الفصل الأول: العلماء عرفاء
الفصل الثاني: سجايا العلماء وحسن أخلاقهم
الفصل الثالث: فضائل العلماء وكراماتهم
الفصل الرابع: منزلة العلماء وعلو مقامهم
الفصل الخامس: مواقف العلماء من الطغاة

## مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علـــى سيد المرسلين محمـــد وآله الطيـــبين الطـــاهرين واللعنة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين .

وبعد .. فهذا كتاب حقائق من تاريخ العلماء كتبته للشباب المؤمن وأسأله سبحانه أن ينفع بـــه كما نفع بالكتب الأخلاقية الأخرى ، إنه قريب مجيب .

# الفصل الأول
# العلماء عرفاء

## كيف تشيّع الغزالي ؟

ولد أبو حامد ، محمد الغزّالي عام ٤٥٠ للهجرة(١) ، في طوس بخراسان ، ودرس علم الكلام في نيشابور عند شيخ الحرمين ( الجويني ) ، ثم قَدِمَ على مجلس الوزير السلجوقي ، نظام الملك ، ولبث فيه إلى أن أُسندَ إليه منصب التدريس في بغداد .

ويذكر انهم أحصوا في مجلس درسه ثلاثمائة تلميذ ثلثهم من أبناء الأمراء والوزراء .

وقد استحوذ على مجالس دروس العامة ، حتى ذاع صيته ، واشتهر بين علمائهم بلقب ( حجة الإسلام الغزّالي) وكان متمرساً في فنّ الجدل والكلام .

وفي فورة النجاح التي كان أصابها يومئذ ، ألّف جملة من كتبه المشهورة ، مثل ( مقاصد الفلاسفة ) و ( تهافت الفلاسفة ) و ( إحياء علوم الدين ) .

وقد ذهب في كتابه الأخير هذا شططاً ، بحيث أفتى فيه بحرمة لعن قاتل الإمام الحسين (عليه السلام) سبط الرسول وسيد شباب أهل الجنة(٢) .

لكن الأيام تدور دورتها ويقرر الغزّالي مغادرة بغداد لينتقل بين العواصم الإسلامية الأخرى ، فيشاء القدر أن يلتقي في إحدى رحلاته تلك بالسيد مرتضى الرازي(٣) ، فيطلب منه الغزّالي المناظرة في مسألة الإمامة ، فلم يمانع السيد المرتضى ، لكنه اشترط على الغزّالي ألاّ يقاطعه في الحديث قبل استيفاء كلامه ، ووافق أبو حامد على هذا الشرط .

ابتدأت المحاورة، وأنصت الغزّالي إلى المرتضى، الذي جعل يقيم الأدلة والبراهين على أحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة .

وبين الحين والآخر ، كانت محاولات الغزّالي للمقاطعة تبوء بالفشل ، لأن المرتضى لم يكن يعطي له الفرصة لذلك بل كان يستمر في سرد أدلته ، حسب شرط الذي إتفقا عليه .

وهكذا تكررت الجلسات بين العلمين ، إلى أن أسفرت في النهاية عن انضمام الغزّالي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

اعترض التلاميذ على أستاذهم ، وتعجبوا منهُ كيف استطاع المرتضى أن يدخله معه في مذهبه في تلك الفترة القصيرة .

غير إن أستاذهم أجابهم في تواضع وهدوء : لقد كان المرتضى ثاقب البرهان ، حاضر الدليل ، حسن الاستدلال ، أظهر ما عنده فأتم ، وما كان لي إلاّ الإذعان والاعتراف .

وبعد تلك الواقعة :

ألّف الغزّالي كتابه ( سر العالمين ) ليعلن فيه أحقية مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، وقد طبع الكتاب مرات عديدة في مصر وغيرها من بلاد الإسلام .

## التخصص في العلوم

## من فكر أهل البيت (عليهم السلام)

يقول هشام بن سالم : بينما كنت وجماعة من الأصحاب بين يدي الإمام الصادق (عليه السلام) إذ دخل عليه رجل من أهل الشام ، فسأله أبو عبد الله (عليه السلام) ، عن حاجته ؟

قال الشامي : سمعت أنك لا تسأل عن شيء فتعيى عن الجواب ، وقد قدمت رغبة في مناظرتك ، واستكشاف ذلك بنفسي .

فقال (عليه السلام) : وفي أي باب أردت المناظرة ؟

فقال الشامي : في القرآن وإعرابه وبنائه وحركاته وسكناته .

فحوّله الإمام (عليه السلام) إلى أبان بن تغلب.. في مجال الإعراب والبناء ، وعلى حمران بن أعين في مجال موضوعات القرآن الكريم .

لكن الشامي سأل الإمام أن يناظره في الفقه وفي التوحيد والإمامة ، فأرشده أبو عبد الله (عليه السلام) إلى بعض أصحابه .

يتضح من هذا الخبر ، إن الإمام (عليه السلام) ، قد أولى عملية التخصص جانباً واضحاً من اهتمامه ، وربّى تلاميذه على ذلك .

## التفؤل بديوان أمير المؤمنين (عليه السلام)

عندما سمع المولى محمد محسن الكاشاني(٤) ، المعروف بـ ( الفيض ) بقدوم أحد الأعلام والمحققين يومئذ ، وهو السيد ماجد البحراني(٥) ، إلى شيراز ، رغب في الهجرة من بلدة قم المقدسة إليه ، للتلمّذ على يديه ؛ وبعد تردد من والد الفيض ، احتكما إلى القرآن ، فظهرت الآية : ( فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقوا في الدين )(٦) ، فأعتبرها الفيض إذناً صريحاً ، وتشجيعاً واضحاً من كلام الله الحكيم .

ومع ذلك رأى الفيض أن يتفأل بالديوان المنسوب للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وإذا به يفاجأ بالأبيات التالية :

تغَرّب عن الأَوطان في طَلَبِ العُلى وسافِر ففي الأَسفار خَمسُ فوائدِ

تَفرُّجَ همٍّ واكتسابُ معيشةٍ وعِلمٌ وآدابٌ وصحبةُ ماجدِ(٧)

وهكذا مكث الكاشاني عند البحراني فترة من الزمن ، قرأ عليه فيها علوم الشريعة ، كما ذكر هو نفسه في بداية كتابه ( الوافي ) . حيث قال : لقد رويت كتبي عن أستاذي السيد ماجد بن السيد هاشم الصادقي البحراني ، فكنت أستند إليه في العلوم الشرعية التي رواها هو عن الشيخ بهاء الدين العاملي .

## بين الطوسي والشيرازي

كان المحقق الطوسي ، الخواجة نصير الدين(٨) (قدس سره) معروفاً بين العلماء في القرن السابع الهجري بمكانته العلمية المرموقة ، وريادته في فن المناظرة و الجدل . وقد وصفه العلامة الحلي (قدس سره) بأنه ( أفضل أهل زمانه في العلوم العقلية والنقلية ، وأنه أستاذ البشر والعقل الحادي عشر ) .

وكان قطب الدين الشيرازي ، وهو أحد الأعلام المشاهير في زمانه ، عالماً فاهماً مقتدراً ، له حلقة درس يحضرها جمهرة كبيرة من الطلاب .

وقد كانت عادة المحقق الطوسي أن يحضر بين الفينة والأخرى ، بعض مجالس العلماء وحلقاتهم .

وهكذا قرر زيارة الأستاذ الشهير قطب الدين في حلقة درسه ، ولكن بعد تنكير ملابسه ، لئلا يتعرَّف عليه أحد .

في حلقة الدرس تعمد أيضاً أن ينزوي بعيداً في نهاية الصفوف ، ومع ذلك فقد تعرَّف عليه مجاوره ، وأبلغ بالخبر إلى مسامع أستاذه الشيرازي .

قال الأستاذ حسناً ، سوف يحضر غداً ، ولسوف أفحمه في موضوع ليس له إلمام به وهو الطب .

وفي اليوم الثاني بدأ القطب الشيرازي درسه بموضوع ( النبض ) من كتاب ابن سينا ، وأورد بعض إشكالاته على صاحب الكتاب . وبعد أن أتمَّ كلامه توجَّه إلى التلميذ المجاور للطوسي ، وطلب منه أن يقرّر الدرس إن كان قد فهمه .

تلكأ التلميذ في بيان المطالب ، فأستأذن المحقِّق من القطب الشيرازي في بيانها .

قال الشيرازي : وهل فهمت الدرس حتى تشرحه ؟

أجاب الطوسي : نعم !

قال الشيرازي : تفضل !

فقال الطوسي : وماذا تريد أن أذكر ؟ الإشكالات الـتي ذكرتـها أم الردّ عليها ؟

قال الأستاذ : بيّن أصل الموضوع أولاً ، ثم بيّـن ما قـد سنـح لـك مـن الاعتراضـات إن كانت .

ثم شرع المحقق الطوسي في بيان المطلوب ، بحيث فنّد إشكالات القطب الشيرازي ، ثم عرّج على ذكر رأيه فـي الموضوع ، مما أعجب الأستاذ والحاضرين على حد سواء . فلم يكن من الأسـتاذ إلاّ أن قام من مقامه وأجلس الطوسي فيه ، وأبدى له احتراماً فائقاً وتقديراً غير معهود !

## ثمرة اللين مع الناس

كتب زرارة بن أعين ، وعبد الله بن بكير ، ومحمد بن مسلم ، وأبو بصير وآخرون إلى الإمـام الصادق (عليه السلام) يتبرّمون له من تصرفات المفضّل بن عمرو الجعفي ، وذلك لما لاحظوه علـى المفضَّل من معاشرة بعض الأشخاص غير الملتزمين ، مثـل شاربي الخمـر ، واللاعـبين بـالطيور . وتمنّـوا على الإمام (عليه السلام) أن يكتب إليه رسالة ينهاه عن أعماله غير اللائقة تلك .

وهكذا كان ، فكتب الإمام الرسالة وختمها ، ثم سلَّمها إليهم ، وأوصـاهم أن يسـلِّموها إلى المفضَّل .

وفي الكوفة فضَّ المفضّل الرسالة ، وتلاهـا عليهم ، ففوجئوا بـأن الإمام (عليه السلام) لم يأت على ذكر طلبهم لا من قريب ولا من بعيد . وإنما وجدوا الإمام فيها يأمر المفضّل بشراء أشياء تحتاج إلى مبالغ طائلة .

قال لهم المفضل : علينا أن نتعاون في جمع المبلغ .

قالوا : إن ذلك يحتاج إلى الوقت .. وإلى العمل الحثيث .

ثم عزموا الخروج ، لكن المفضَّل استوقفهم ودعاهم لتناول طعام الغداء معه. وعلى الأثر أرسـل شخصاً في طلب عددٍ من الذين شكوا المفضَّل بسببهم .

وحينما حضروا عرض عليهم المفضَّل الأمر ، فاستأذنوا في الخروج ، وعادوا بعد قليل ومعهـم عشرة آلاف درهم هي المبلغ المطلوب ، ثم سلموها للمفضَّل والحضور يشهدون .

وعند تناول الطعام توجه المفضَّل نحو أصحابه وهو يقول : أفكنتم تريدون أن أتـرك أشـخاص كهؤلاء ، فأعجز عن أداء الأمور الضرورية .

عند ذلك تبين للقوم مغزى قصد الإمام (عليه السلام) من وراء كتابه ، وهو إعلامهم بأن القائد بحاجة إلى جميع أصناف الناس ، مادام دينه في مأمن من الخطر والزلل ، وإن معاشرة المفضَّل لأولئك كان من الصواب والحكمة ، وهو مؤيد في ذلك من الإمام (عليه السلام) .

## شروط المدير الناجح

كتب بعض أصدقاء المجدد الشيرازي(٩) (قدس سره) إليه ، يطلبون منه تأييداً لأحد العلماء ، لكنه توقف عن إرسال الرد إليهم . فكتبوا إليه مرة أخرى ومع ذلك لم يصلهم منه جواب ! فوفدوا عليه مستفسرين عن السبب ، وهل إنه لم يطمئن لشهادتهم ، مما جعله يمتنع عن إجابة طلبهم ؟

قال الميرزا الشيرازي : لقد أطمأننت لجميع ما قلتموه وكتبتموه ، إلاّ أنكم لم تذكروا لي إلاّ علمه وتقواه فقط . دون أن تشيروا من قريب أو بعيد إلى تدبيره ، وفطنته ، وكياسته ، وإدراكه للظروف التي يعيشها ، وهي جميعاً أمور هامة للقائد والمدير الناجح . فما فائدة علم الرجل وتقواه، إذا كان متَّصفاً بالبساطة والسذاجة وعدم الفهم للحياة وتكاليفها ولا يدرك الظروف التي تحيط به ؟.

## السر الخفيّ

كان الميرزا القميّ والسيد بحر العلوم ( قدس سرهما ) زميلين بحثاً ودرساً عند الشيخ محمد باقر البهبهاني(١٠) (قدس سره). وكان الميرزا القميّ ، وحسب نقله ، متفوقاً في تلك الفترة على بحر العلوم .

وبعد عدة سنوات ، طرقت مسامع القميّ علمية بحر العلوم وصيته ومنزلته . فتعجب القميّ ممّا سمع . وعندما سافر إلى العراق ، لزيارة العتبات المقدسة ، زار العلامة بحر العلوم في حلقة درسه في النجف الأشرف ، وهو يتناول إحدى المسائل الهامة نقداً وإبراماً ، فدهش القميّ لغزارة علم رفيقه القديم الذي لم يعهد منه تلك الدقة الفائقة .

فلم يجد بدّاً من أن يسأله عما أوصله إلى ذلك المقام المحمود ؟ فأجابه بحر العلوم : بأن المسألة سرّاً من الأسرار ، إلاّ إنني سأبيحه لك ، شريطة أن يبقى طيّ الكتمان ما دمت حياً .

وبعد موافقة القميّ ، قال بحر العلوم : كيف لا أكون كذلك وقد ضمني الإمام المنتظر ( روحي له الفداء ) في مسجد الكوفة إلى صدره ؟!

**مبشر نصراني يعتنق الإسلام**

نقل أحد المبشرين النصارى قصة اعتناقه للإسلام الحنيف فقال :

بعد سفر طويل من العلوم والمعارف المسيحية ، انتقلت إلى إحدى المدارس الكاثوليكية ، وكان يديرها قسّ مقرّب إلى أوساط الأعيان والأشراف ، وكان متميزاً في التدريس ، لا يقل حضّار درسه عن ٥٠٠ طالب ، مضافاً إلى عددٍ آخر من الراهبات .

ولقد نشأت بيني وبينه علاقة ودّ حميمة ، بحيث أطمأن لي وسلّمني مفاتيح غرف الكنيسة ، ما خلا مفتاحاً واحداً لغرفةٍ صغيرة ، كنت أظنها مخصصة للذهب والمجوهرات .

وفي أحد الأيام ، أمرني أستاذي القس بالذهاب إلى الطلاب ، وإبلاغهم اعتذاره عن حضوره للتدريس . ولما وصلت قاعة الدروس وجدتهم يتباحثون فيما بينهم حول لفظ (فارقليط) ، الذي ورد في إنجيل يوحنا ، في الإصحاحات ١٤، ١٥ ، ١٦ .

بعد أن استمعت إلى مناقشهم واحتجاجهم ، عدت إلى الأستاذ وأخبرته بما دار بينهم حول العبارة وتفاسيرها .

قال لي الأستاذ وما تقول أنت ؟ فذكرت له رأي أحد مفسري الإنجيل .

فقال الأستاذ ليس التقصير منك ، أن تفسير هذا اللفظ لا يعرفه في هذا الزمن ، غير فريق ضئيل من أصحاب الرأي والتحقيق في هذا العلم .

شعرت أن في الأمر سرّاً يخفى عليّ . ألقيت بنفسي على قدميه وتوسلت إليه أن يطلعني على المراد الحقيقي . أغرورقت عيناه بالدموع ، ثم استرسل في البكاء ، وبعد برهةٍ رفع عينيه المبللتين نحوي وقال : سوف أذكر لك الحقيقة شريطة أن تبقيها سرّاً بيننا ما دمت على قيد الحياة ، لأنك أن أفشيتها تكون قد حكمت علي بالإعدام .

وبعد أن عاهدته على الالتزام بما طلب ، نظر في وجهي لحظات ثم قال : إن (فارقليط) هو اسم نبي الإسلام . ويعني كثير الحمد (أحمد ومحمد) .

ثم ناولني مفتاح تلك الغرفة ، التي كنت أظن أنها مخصصة للذهب والمجوهرات ، وقال لي : أفتحها وسوف تجد فيها صندوقاً بموضع كذا ، وفي الصندوق كتابان قد كتبا على جلود الحيوانات ، وقد كتبا بالخط اليوناني قبل ظهور الإسلام ، أحضرهما وسترى بعينيك تفسير (فارقليط) بما ذكرت لك.

يقول ذلك القس التلميذ : ومنذ تلك اللحظة تمكن عشق الدين الإسلامي من قلبي ، وأيقنت ان واجبي هو دعوة الناس إليه .

وبعد إشهار إسلامه ، أطلق على نفسه اسم ( محمد صادق فخر الإسلام ) وألف كتاباً في رد المسيحيين ويروي فيه قصة إسلامه ، بعنوان ( أنيس الإعلام).

**دور الإيحاء في سلوك الإنسان**

استنكر أحـــد الأطبّاء علـــى الملك إطلاق لقب (الطبيب الأول) على سقراط ، وادّعى انه أفهم منه .

قال الملك لسقراط : إنّ هذا الطبيب يدّعـــي إنّه أعلم منك ، وبالتالي انه يستحقّ اللقب .

قال سقراط : إذا أثبت ذلك فإن اللقب سيكون من نصيبه .

قال الملك لسقراط : كيف تتشخّص الأعلمية .

أجاب سقراط : أيّها الملك سل الطبيب عن ذلك فإنه أدرى بالدليل .

قال الطبيب : أنا أسقيه السم الرعاف وهو يسقيـــني ، فأيّنا تمكّن من دفع السمّ عن نفسه فهـــو الأعلم ، أمّا الذي اصابه المـــرض أو أدركـــه الموت فهو الخاسر .

قَبِلَ سقراط هذا النوع من التحكيم ، وحدّد يوم النزال بعد أربعين يوم .

إنهمك الطبيب في تحضير الدواء السام ، فـــي حين استدعى سقراط ثلاثة أشخاص وأمـــرهم أن يسكبو الماء في مدقٍّ وان يدقّوه بقوّةٍ واستمرار ، وكان الطبيب يسمع صوت الدقّ بحكـــم جـــواره لبيت سقراط .

## الفصل الثاني
## سجايا العلماء وحسن أخلاقهم

### تواضع الحكيم السبزواري

يذكر أن الشيخ مرتضى الأنصاري(١) (قدس سره) ، كان قد درس عند الحكيم السبزواري(٢) كتاب ( الشوارق ) للاهيجي ، وبعض الأبحاث الفلسفية وذلك بمدرسة الحاج حسن بمشهد المقدسة ولمدة سنتين كاملتين .

وينقل عن الحكيم السبزواري قوله : كنت أنا والشيخ الأنصاري نعكف معاً على خدمة الإسلام .

ومضت السنون ، وغدا الأنصاري المرجع الأعلى للشيعة في زمانه ، وتذكر أستاذه بالأمس ، فأرسل إليه من يوصل إليه سلامه وتحياته ، وعندما وصل الرسول وهو يحمل السلام كان الحكيم السبزواري جالساً في زاوية من زوايا المدرسة .

وما أن سمع الأستاذ السلام ، حتى انتفض قائماً احتراماً وتوقيراً للشيخ الأنصاري ، وهو يقول . ( منه السلام وإليه يرجع السلام وعليه السلام ) .

### قليل ما هم

يقول أحد العلماء : لقد كنت أؤمن بوجود التقوى كنظرية في بطون الكتب فقط ، وكنت أنكر وجودها على صعيد الواقع العملي في هذا الزمن الرديء ، الذي طغت على الناس فيه مظاهر المادة والمنكر والفساد ، واعتادت فيه بطونهم وأنظارهم على الحرام ومشاهده .

كان هذا هو اعتقادي ، إلى أن قيّض لي أن عاشرت رجلين اثنين بدّلا تفكيري ، وقلّبا ذلك الاعتقاد عندي . أحدهما في مدينة قم المقدسة وهو الشيخ أبو القاسم ، والآخر في مدينة النجف الأشرف وهو السيد مرتضى الكشميري .

ثم ذكر العالم المذكور بعض أحوال الشيخ أبي القاسم فقال : ذات ليلة ، أرسل ( صمصام ) رئيس شرطة قم كيساً فيه مبلغ كبير من المال إلى الشيخ ، غير إن الشيخ رفض تسلّم المبلغ ، وأمر ابنه أن يعيده .

ولما أن رأى من ابنه الممانعة في رده ، والتعذر بأنهم في أمس الحاجة إلى ذلك المال ، قال له الشيخ إن الله سبحانه ، قد منَّ علينا ـــ يا ولدي ـــ بالعقل . وهذا المال هو في أحسن الأحوال دَيْنٌ وجَميلٌ للقوم علينا . وأنت تعلم أنهم لايعطون شيئاً من دون مقابل ، ولعلهم يطلبون منا أشياء فيما بعد ، لا يجوز لنا أن نلبيها لهم .

فاقتنع الابن وأعاد الأموال إلى مرسلها .

ومما ذكر العالم المذكور في حق الشيخ إنه كان يمر على باب دار الشيخ عبد الكريم الحائري(٣) (مؤسس الحوزة العلمية في قم) ويقول : ( إن النظر إلى باب داره ثواب ، والحضور في درسه ثواب ) .

و لم يكن الشيخ أبو القاسم يتصرف في سهم الإمام (عليه السلام) ، مع ما كان عليه من ضعف الحال ، وضيق ذات اليد ، إلى درجة أنه لم يكن يجد ـــ أحياناً ـــ ما يأكله ، كما نقل أولاده .

وحينما تدرّ عليه السماء برزقها تجده لا يدخر وسعاً في دعوة الفقراء والمحتاجين ليشاركوه في سرائه ونعمته .. ثم يشكر الله سبحانه على رزقه وما أجراه من الخير على يديه .

ومما ذكره بعضهم في أحواله إنه كان يكنّ احتراماً فائقاً وواضحاً لزوجته الكريمة ، وذلك بسبب انتسابها إلى الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ففي السرّاء كان يغدق عليها في العطاء ، وفي الضراء كان يطعم نفسه رغيف الشعير من أجل أن تهنأ زوجته برغيف الحنطة .

### هو كالملائكة لا يستحي من لا يعلم

سئل أحد العلماء عن مسألة ، فقال : لا أعلم .

قال أحد الحضور وفي حالة استنكار : وأي جواب هذا ؟

هلاّ ورّيت أو أجملت ؟ أو لا تستحي من قول لا أعلم ؟

فأجاب ذلك العالم في هدوء : ولماذا أستحي من شيء لم تستح منه الملائكة، حينما قالوا : ( سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا )(٤).

### صيانة الأمانة

خارت قوى أحد العلماء ، بسبب ما أصابه من الجوع والهزال ، حتى تداركه أحد المؤمنين ببعض الطعام ، أعاد له شيئاً من صحته .

وفي الأثناء دخل عليه أحد رجال الدين يسأله شيئاً من المال . فاستوى العالم المذكور قائماً ودسّ يده في صندوق وضع في كوّة الحجرة ، واستخرج منه بعض المال أعطاه للسائل .

و لم يلبث غير قليل حـــتى دخل عليه آخر كان ينتسب إلى الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكانت عليه آثار الحاجـــة بادية ، فأعطاه كما أعطى سابقة .

تعجب بعض الحاضرين ، وقال : كيف يكون عندك كل هذا المال ، ويحلّ بك ما حلّ بك مـــن الجوع والفاقة ؟

أجاب العالم : هذه الأموال ليست لي ، وإنما هي أمانة وضعها الناس عندي، لكي أوصـــلها الى مستحقيها . ولو تصرّفتُ بها لكنت خائناً للأمانة ، وإنّ أعظم الخيانة خيانة الأمة .

**سيحرقون لحيتي بنار جهنم**

كان الشيخ جعفر المحلاتي (قدس سره) من العلماء الكبار في مدينة شيراز الإيرانية ، وكان ـــ في بداية أمره ـــ ميسور الحال ، يبذل الأموال والأعطيات للفقراء والمحتاجين ، إلاّ أنه ابتلي في شيخوخته بفقر مدقع .

ولقد حدث نزاع ـــ ذات يوم ـــ بين أبناء ( مؤيد الملك ) وإخوته ، على تولّي الموقوفات الـــتي تركها ( المؤيد ) بعد وفاته .

اختصم الطرفان عند الشيخ عبد الكريم الحائري ، لكنه رفـــض البتّ فـــي القضية مع وجـــود الشيخ جعفر المحلاتي في شيراز .

رفعـــوا القضية إلـــى مراجع آخرين ، لكنهم كرّروا عليهم نفس جواب الحائـــري ، فأضـــطر المتخاصمون إلى رفعها إلى الشيخ محلاتي ولكن عبر وسطاء.

عرض الوسيط الموضوع على الشيخ المحلاتي ، وقدّم الوثائق والحجج للطرفين ، ثم أظهر لـــه أن الجميع قد ارتضوه حكماً فيما بينهم وإن المهم عندهم هو إنهاء النـــزاع ، وعرض عليه الوسيط مبلغ أربعة آلاف تومان لقاء أتعابه في القضية ، وكان هذا المبلغ يعدّ كبيراً ومغرياً في ذلك الزمان .

لكن الشيخ مع ذلك ، اعتذر عن البت في النـــزاع .

قال له الوسيط : شيخنا ، إن أطراف النـــزاع مستعدون لـــدفع عشـــرة آلاف تومـــان(٥) إن أصدرت الحكم ، ولا فرق عندهم فيمن تختاره لتولّي الموقوفات ، سواءً أكان منهم أم من غيرهم .

وبعد إصرار متبادل من الشيخ ومن الوسيط ، أمسك الشيخ لحيته بيده وقـــال: إنهـــم يريـــدون إحراق لحيتي البيضاء بنار جهنم !

هذا الرفض صدر من الشيخ فـــي وقت لم يكن يملك المـــال لشـــراء طعام العشاء ، الأمر الذي اضطرّه إلى بيع قدر من قدور المنـــزل ، لشراء عدّة أرغفة من الخبز لعائلته .

**المهم أن لا يملكك شيء**

كان المرحوم الشيخ أحمد النراقي(٦) (قدس سره) من العلماء الأجلاّء والأغنياء الموفوري الحال ، كان له في ما يملك بستان واسع زاخر بالخيرات والنعم .

وذات يوم التقاه صوفي ، عند دخوله الحمام . قال الصوفي للنراقي : كيف تدّعي لنفسك الزهد والدين ، ولك ما لك من الأملاك مما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين ؟!

فلم يجبه النراقي ، حتى إذا فرغا من الحمّام توجه إلى صاحبه قائلاً : أيّها المرشد ! هل ذهبت إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ؟

أجاب الصوفي بالنفي ، فدعاه النراقي لصحبته إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) وافق الصوفي وانطلقا معاً ، وبعد عدّة خطوات طلب الصّوفي من النراقي أن يمهله عدّة لحظات حتى يعود !

قال النراقي : لماذا ؟

قال الصوفي بعد أن ضرب يده بالأخرى : لقد نسيت كشكولي(٧) في الحمّام ، ولابّد أن أصحبه معي.

قال النراقي : أيها الصوفي ، إنك شهدت بأن لي ثروة طائلة ، وأموالاً كثيرة ، لكنني أودعتها عند ربّي حينما عزمت على السفر إلى العتبات المقدّسة ، وأخرجت حبّها من قلبي ، وأما أنت فلم تستطع أن تترك كشكولاً واحداً و لم تملك أن تنزع حبّه من قلبك ، فإن الزهد ــ كما قال الإمام علي (عليه السلام) ــ (أن لا يملكك شيء لا أن لا تملك شيئاً) .

## هكذا يصنعون التاريخ

نقل الميرزا هادي الكفائي(٨)، قصّة حضور والده درس الحكيم الملّا هادي السبزواري (قدس سره) قال : قرّر والدي الذهاب من مدينة طوس إلى النجف الأشرف ، ضمن قافلة متوجهة إلى العراق.

وفي الطريق توقفت القافلة بمدينة سبزوار .. وفي صباح اليوم التالي حضر والدي درس الحكيم السبزواري ، لكنه إختار مكاناً منفصلاً شيئاً ما عن حلقة الدرس ، بحيث صار يستمع لأقوال الأستاذ السبزواري .

وطوال مدّة توقف القافلة في تلك المدينة ، واظب والدي على حضور درس السبزواري ، ولمّا قرّرت القافلة استئناف الحركة لمتابعة الرحلة نحو العراق البلد المقصود ، إذا بوالدي يفاجئ الجميع بقراره البقاء في سبزوار . قال : لقد عثرتُ على ضالّتي في الملاّ هادي ، ولن أغادر سبزوار قبل أن أغترف من علومه وحكمته ومعارفه .

وأمام دهشتهم وتعجبهم قال والدي : لا تقلقوا عليّ ، فسوف أواصل سفري حالما أشعر بالكفاية من إفادات هذا العالم الفاضل .

وهكذا بقي والدي في سبزوار قرابة ثلاثة أشهر ، كان وجوده ، وإصغاؤه الملفت ، وصمته الدائم ، خلال تلك الفترة مثار فضولهم واحترامهم في وقت واحد . فاجتمعوا ذات يوم حول أستاذهم السبزواري يسألونه .

قالوا : أيها الحكيم منذ مدّة ونحن نلاحظ حضور هذا الشاب ـــ يريدون الخراساني ـــ وهو يصغي بإمعان إلى كلّ ما تتحفنا به دون أن يكلم أحداً منّا ، فمن هو ؟ ومن أين جاء ؟ وهل التقى بك يوماً ؟

هنالك ارتسمت ابتسامة على شفتي الأستاذ السبزواري ، وقال لهم : لقد قَدِم هذا الشاب ، واسمه محمد كاظم ، من مدينة طوس ، وهو يعزم على الذهاب إلى النجف الأشرف للتلمّذ على فحولها هناك ، وقد رأيته وتحدّثت معه وقرأت في عينيه بريق النبوغ ، كما تدل سيماه على آثار عظيمة تتحلّى بها نفسه ، وتشير إلى مستقبل علمي زاهر له ، بحيث يستفيد من إشعاع علمه آلاف البشر ، ويتخرج على يديه كثير من العظماء ، وسيكون لتوجيهاته الأثر البالغ في تغيير مستقبل الأمّة .

دهش الطلاب لكلام أستاذهم ، الذي لم يعوّدهم منه على إسباغ المديح والإطراء لأحد ، وصارت نفوسهم تتوق إلى مجالسة ذلك الشاب وتختزن له كل ودٍّ وإكبار .

ولم تمض غير فترة وجيزة حتى اختفى الشيخ محمد كاظم الخراساني عن أنظارهم ، وذلك بمجرّد أن انتهى أستاذهم السبزواري من إلقاء الدروس .

وبعد سنين أدرك الطلاب أن صاحبهم الشاب بالأمس قد طبقت شهرته الآفاق في المنقول والمعقول ، وقد أصبح أحد الذين قادوا ثورة المشروطة في إيران ، وأطاحوا بالاستبداد ، ووقفوا بوجه الاحتلال الروسي الغاشم لبلادهم .

وفوق ذلك كله صار من مراجع التقليد العظام ، الذي قلّده الملايين في كثير من الأمصار وصار كتابه ( الكفاية ) محور الدرس والبحث في كل الحوزات العلميّة .

وما تزال نظريات الآخوند الخراساني وآراؤه الأصولية إلى اليوم أحد المحاور الرئيسية التي تفرض نفسها على الأوساط العلميّة الدينيّة .

**مفتاح النجاح**

يقول صاحب أعيان الشيعة : إن للمرحوم الشيخ محمد البهاري أربعة وأربعين كتاباً في مختلف العلوم والفنون ، وأن بداية درسه كانت عند الآخوند ، لكنه ما كان يعي الدروس ويستوعبها .

وقد نقل عنه أنه رأى في منامه الإمام الحسين (عليه السلام) وبشّره ، بأنه سيكون على منزلة عالية من العلم والمعرفة ، وبعد تلك الرؤيا ، وعرف الشيخ بالفطنة والنباهة والفهم والذكاء ، فواصل دروسه بروح ثابته ، وهمّةٍ عالية ، حتى أصبح من العلماء الأجلاّء .

إن إخلاص الشيخ وتقواه هما اللذان أورثاه هذه النعمة ، ومثابرته على طلب العلوم ومقاومته للعقبات هما اللذان اوصلاهُ الى هذه الكمالات ومثل الشيخ محمد البهاري كان العلامة المولى صالح المازندراني ، بل تلك هي الحال بالنسبة لعشرات العلماء والرجال البارزين في التاريخ .

**شمعة أم شمس ؟**

رأى السيد مرتضى الطباطبائي والد السيد محمد مهدي بحر العلوم ( قدس سرّهما ) في المنام ، أن الإمام الرضا (عليه السلام) أعطى لمحمد بن إسماعيل بن بزيع شمعة ، فأخذها وأسرجها فوق داره ، فنشرت تلك الشمعة ضياءً عجيباً.

## الفصل الثالث

## فضائل العلماء وكراماتهم

### شفاعة الميرزا القمي

قال المحدث الشيخ عباس القمي(١) (قدس سره) : رأيت الميرزا القمي (قدس سره) ذات ليلة في المنام ، وسألته هذا السؤال : هل سينال أهل قم شفاعة السيدة فاطمة المعصومة (سلام الله عليها) ؟

سألني سؤال المتجاهل : ماذا قلت ؟!

كرّرت عليه السؤال ، فكرّر عليّ الجواب .

ولّما سألته السؤال نفسه في المرة الثالثة ، قال لي الميرزا : ما كان ينبغي أن تسأل مثل هذا السؤال ، لأني أنا سأكون شفيع أهل قم يوم القيامة . أمّا السيّدة المعصومة (سلام الله عليها) ، فإنها ستشفع لكل الشيعة في العالم ، لما لها من المقام المحمود والمنزلة العالية عند الله تعالى .

### كرامة الأنصاري

ذكر أن الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره) ذهب ذات مرّة إلى كربلاء لزيارة العتبات المقدّسة ، وعند عودته عزم على الركوب بأحد الزوارق ، وكان الزورق آنذاك إحدى الوسائل النقلية ، فوضع الشيخ ( قدس سره) ــ ومن دون قصد ــ حذاءه على فرش كان أحد مشايخ العرب جالساً عليه .

فرمق الرجل الشيخ الأنصاري بنظرةٍ جاهلية ثم أعقبها بكلام جارح ، قال : ( إن أهل شوشتر عديمو الأدب والفهم ) ، ثم أخذ في سباب الشيخ بألفاظ قبيحة وعبارات نابية .

فلم يردّ عليه الشيخ الأعظم .

وكان المرحوم الحاج السيد علي(٢) يرافق الشيخ الأنصاري في سفره ، فقال للشيخ : أو لا تردّ عليه يا شيخنا ؟

والتزم الشيخ الصمت أيضاً .

وفي عصر ذلك اليوم أصيب ذلك الرجل الذي أهان الشيخ بمرض شديد ، توفيّ على أثره في صباح اليوم الثاني ، وكان ما يزال في الزورق ، فأخرجوه ودفنوه في ضفة النهر .

فأدرك الحاضرون في الواقعة ، أن وفاته كانت أثر إهانته للأنصاري ( رضوان الله تعالى عليه ) .

قال : لا إله إلا الله فرأي العالم الخفي

يروي الشيخ محمد كريم قصّة عن أستاذه الماهر في علم المعقول الشيخ محمود الحكيم .

يقول : في عصر أحد الأيام جاء أستاذي إلى المدرسة ، وقال : إنني أشعر بضيق في صدري ، وأحتاج إلى شيء من الراحة ، فقرّرنا الذهاب إلى تكية(٣) ( هفت تنان ) لتناول طعام العشاء .

ذهب الشيخ لتهيئة السفرة على أن أتبعه بعد ذلك مع بقية الطلّاب ، غير أن نزاعاً قد نشب بين بعض الطلّاب ، واضطررت للتدخل في تهدئته ، فطال بنا الوقت حتى خيّم علينا الظلام ، فلم نخرج من المدرسة لما كان يلازم الخروج بالليل من الأخطار والمخاوف ، لفقدان الأمن .

وفي صبيحة اليوم التالي ، توجّهت إلى أستاذي فرأيته في المسجد القريب من بيته حيران مضطرباً غارقاً في الفكر مشغول الحال والبال .

سلمّت عليه ، فردّ عليّ السلام ثم قال : لماذا لم تجيئوا بالأمس ؟

بيّنت له السبب ، ثم سألته عن حاله يوم أمس وكيف قضى ليلته ، لا سيمّا وأنا أجد الاضطراب بادياً على محياه .

قال : لقد حدث لي حدث عظيم !

وأضاف : عندما تيقّنت من عدم مجيئكم و لم أجد من أتحدث إليه لأنفّس عن حالي وكربي ، خرجت أسير وحيداً ، ومن منتصف الطريق لمحت زاهداً جالساً على قارعة الطريق ، فناديته وكأنني وجدت فيه ضالّتي :

يا زاهد

قال : نعم .

قلت له : ألا تقصّ لنا حكاية نتسامر بها ؟

قال لي : لا أعرف !

قلت له : فاقرأ لنا قصيدة من الشعر .

قال لي : لا أعرف !

هنالك قلت له : إذا كنت لا تعرف كل هذا ، فما الذي كان عندك حتى علوت على الناس ؟

قال لي : لقد علمني شيخي أن أسلّم كلّما دخلت على أحد !

وما أن تفوّه بهذا الكلام حتّى أحسست أنه أثلج صدري .

ثم قال لي الزاهد : شيخنا لا بأس عليك ، تعال فاجلس هنا . وأشار إلى حصيرة كان جالساً عليه .

جلست على الحصير .

فقال لي : قل : لا إله إلا الله .

وما أن لقّنني كلمة التوحيد ، حتى كُشف عن بصري وصرت أرى كل شيء ما بين الثرّيا والثرى ، وكلّما نظرت إلى ما حولي من الأعلى إلى الأسفل كنت أرى كلمة التوحيد منقوشة على كل شيء .. كل شيء ، في السماء، في الأرض، على الأشجار ، على الماء ، على الجدار .. على كل شيء .

ولا أدري أي عالم كان ذلك العالم ، لقد شاهدت عالماً ذا صفاء عجيب .

ثم قال لي : يا شيخ ، والآن استلق ، لتنام على الحصير فإنك قد أصبت بإعياء وتعب .

فتغطّيت بعباءتي ، وجعلت أرمقه من تحت العباءة ، لأرى ماذا يفعل !

شاهدته يذكر ذكراً من الأذكار ، فيخرج نور من فمه ، ويصعد إلى السماء ، ثم سيطر عليّ النعاس ، فأغفوت غفاءة نهضت بعدها ، فلم أجد لذلك الزاهد من أثر .

لقد علّمني الرجل : أن الزهد الحقيقي هو مصداق الحديث القدسي : (عبدي أطعني تكن مثلي أو مثلي ، أقول للشيء كن فيكون وتقول للشيء كن فيكون) . وهكذا يكون العالم الزاهد الحقيقي يكون موضع لطف فيكون في كلامه الأثر الكبير .

**إن كنت عبدي فاصطبر !**

أسس محمد اليالوشي في جبل عامل حزباً منحرفاً ، استطاع أن يغوي به بعض عوام الناس ، ويخدعهم ، ويثير بينهم النعرات الطائفية ، ممّا أدّى إلى إيجاد الاضطرابات والمشاحنات في بعض بلاد الشام .

غير أن الشهيد الأول(٤)(قدس سره) تصدى له ، وأقنع الحكومة المركزية ــ آنذاك ــ بضرورة مواجهته وإخماده ، فتحركت قطعات من الجيش لقمع الفتنة ، فقتل محمد اليالوشي واندحرت فلوله ، وقتل بعض أيضاً ، واسر آخرون ، لكن البعض استطاع الفرار إلى مناطق أخرى .

وكان من نتيجة ذلك أن جمع ( قرن الشيطان ) فلول تلك الحركة الضالة تحت قيادة تقي الدين الجبلي في جنوب اللبناني ، ثم توسعت الحركة في عهد يوسف بن يحيى ، الذي خلّف الجبلي في قيادة الحركة ، وقد تمكن بعض أفراده في القوة القضائية في مدينتي بيروت وحلب ، وكان شغلهم الشاغل الانتقام من الشهيد الأول ( رضوان الله تعالى عليه ) .

وهكذا استغلوا نفوذهم في القوة القضائية ، وتقربوا من حاكم دمشق ( بيدمر ) وهو صاحب السلطة المطلقة آنذاك(٥).

ودبّجوا التقارير ، وحاكوا المؤامرات للكيد بالشهيد العاملي ( رضي الله عنه ) .

وآخر تلك المؤامرات ، كان افتعال رسالة مزورة تطفح بالارتداد ومخالفة الشـــرع الإســـلامي ، دبّجها يوسف بن يحيى المذكور ونسبها إلى الشهيد . واشهد عليها من جماعته سبعين رجلاً ، وادّعوا إن الشهيد ( رضي الله عنه ) كان قد ارتد عن دين الإسلام .

رفعوا المذكرة إلى قاضي صيدا ، وهو أحد أعضاء حركتهم ، ثم رفعها هو بدوره إلى القاضـــي عبّاد بن جماعة الشافعي ، قاضي قضاة الشام فـــي دمشق ، وهو المنصب الثاني في البلاد . و لم يكـــن حقد هذا الأخير وحسده للشهيد بأقل من سابقيه . وطالما كان يتحيّن للشهيد فرصـــــة كهـــــذه ليزيـــحه من طريقه . خصوصاً وإن الشهيد كان قد صلت الأضواء عن ابن جماعة وأشباهه ، وذلك لما اشتهر به من علم وتواضع . بحيث كان قاضياً محبوباً من جميع الأطراف والمذاهب ، يقضي لكـــلّ على مذهبه ، ويسعى دائماً من أجل لم الشمل ووحدة الصف .

أصدر ابن جماعة أمراً باعتقال الشهيد ، وشكل محكمة صورية تحت إشراف برهان الدين المالكي ، للنظر فـــي تهمة الارتداد ، واجتمع الملك بيدمر والأمراء والقضاة والشيوخ ، وأُحضـــر الشـــهيد العاملي ، وقرأُ عليه المحضر .

أنكر الشهيد ذلك .

قيل له : قد ثبت ذلك عليك شرعاً ، وإنّ القاضي قد حكم بارتدادك .

فـــرد الشهيد الحكم الغيابي الذي صدر بحقه استناداً إلى قاعدة ( إن الغائب على حجته ) .

فقال القاضي برهان الدين ، الذي يحكم وفق المذهب المالكي : أن الشهود قد أدلوا بشهاداتهم ، وردّك للتهمة لا ينفي الحكم .

قال الشهيد : إنني على استعداد ان أبطل شهادات الشهود ، بعد أن أثبت جرحهم .

قال القاضي : إن حكم القاضي غير قابل للفسخ(٦) .

فلمّا علم الشهيد إصرار القاضي على الباطل ، توجه إلى القاضي عباد بن جماعة بالقول : أتزعم أنك إمام لمذهب الشافعي ، فاقض لـــي حسب موازين مذهبك(٧).

لكن ابن جماعة الشافعي قطع مقولة الشهيد وقال : إن المرتد حسب المذهب الشافعي يســـجن سنة واحدة ، ويفـــرج عنه إذا تاب . وإنك قـــد أنهيت مدة السجن ، وما عليـــك إلا أن تســـتغفر ربك ، وتتوب لكي يطلق سراحك .

لكن مكرهم وحيلتهم لم تكن لتنطلي على رجل مثل الشهيد ، ذلك لأنه لو نفذ طلبهم لاحتجوا بذلك لقتله . بذريعة أنه اعترف بالارتداد ، فضـــلاً عن سقوطه اجتماعياً أمام الرأي العام ، الـــذي سرعان ما تنطلي عليه أحابيل الأعلام ودعايته . ثم كيف يتوب من ذنب هو لم يرتكبه .

عندئذ توجّه ابن جماعة الشافعي إلى برهان الدين ، وأوعز له بالقضاء على ضوء المذهب المالكي ، فأصدر القاضي حكم الإعدام بحقه .

ثم اقتادوه ( رضوان الله عليه ) إلى قلعة دمشق ، وفي وسط الطريق ، كتب الشهيد على رقعةٍ كانت عنده ( ربّ إنّي مغلوب فانتصر ) . ثم وضعها على الأرض ، وما هي إلاّ خطوات ، وإذا بريح ترفع الرقعة وتلقي بها إمام الشهيد ، وقد كتب على طرفها الآخر بخط غيبيّ : ( إن كنت عبدي فاصطبر ) .

هناك أيقن الشهيد أن التقدير الإلهي هو أن يقتل في سبيل الله عزوجل . كما ورد بالنسبة إلى الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) : (شاء الله أن يراك قتيلاً) .

وعند الفجر قطعوا رأس الشهيد وصلبوه ، ثم نادوا في الناس ، أن يرموا جثمانه الشريف بالحجارة . وعصر ذلك اليوم المشؤوم أضرموا في جسده الطاهر النار ، ثم جمعوا رماده وذرّوه في الهواء .

نعم ، لقد قتل الشهيد واحرق وذرّ في الهواء ، ولكن إرادة السماء شاءت أن يبقى اسم الشهيد خالداً ، رغم مكر الآثمين وكيد الحاقدين . وصار قبر الشهيد في قلب كل مؤمن ، وآراؤه وعلومه في قلب كل عالم . وقد انتقم الله سبحانه من كل اشترك في هذا القتل الظالم بأنواع العذاب حتى أبادهم عن آخرهم ، ولعذاب الآخرة أشد .

### له دعوة الحق

كان الحجة الكوه كمري من الفقهاء الكبار والمراجع المعروفين في مدينة قم المقدسة . عندما شعر بدنوّ أجله . استخار الله بالقرآن على كسر ختمه ، فخرجت هذه الآية : ( له دعوة الحق )(٨).

فعرف أن الآية نداء له لتلبية دعوة الله سبحانه ، فكسر ختمه وأخذ شيئاً من التربة الحسينية وتناولها وقال : هذا آخر زاد لي من الدنيا ثم لبّي نداء ربه وفارقت روحه الدنيا .

### الاستشفاء برداء الشيخ الأنصاري (قدس سره)

قدّم الشيخ مرتضى الأنصاري (قدس سره) رداءاً من الصوف كهدية للشيخ زين العابدين المازندراني(٩) . فقبل الأخير الهدية ، واعتز بها أيما اعتزاز، بل لم يكن شيء آثر عنده منها . فصار يشتملها في الأعياد والمناسبات .

لكن السنوات طبعت أثرها على الرداء ، فذهب بريقه وانكسرت نضارته .

واتفق إن زار معير الممالك(١٠) الشيخ زين العابدين في عيد من الأعياد ، فوقع بصره على ردائه البالي ، فأخذه خلسة ثم استأذن من الشيخ في الخروج بعد ساعة من الزمن ثم عاد وفي يده رداء

فاخر وثمين ، وطلب من الشيخ أن يقبله كهدية متواضعة منه . لكن الشيخ اعتذر عن القبول ، وعلّل ذلك بأن الرداء الذي يرتديه إنما هـــو ذكرى غالية عليه من الشيخ الأعظم الأنصاري (قدس ســـره) وإنه يرتديه من باب التيمّن والتبرّك ولذا ردّ الزائر ردائه وقـــد تسامع الناس فيما بينهم بأمر الـــرداء وقصته ، فصاروا يتوافـــدون على الشيخ زين العابدين بنية الاستشفاء والتـــبرك وكـــذلك كـــان ، حيث انهم كانـــوا يرتدونه لحظات فيبرأون من مرضهم بإذن الله سبحانه .

**يتنبأ بمن يصلي على جنازته !**

تعجب الحاضرون حينما قال لهم السيد محمد مهدي بحر العلوم(١١) (قدس سره) وهو يحتضر : أحب أن يكون الشيخ حسين نجف هو الذي يصلي على جنازتي ، ولكن لا يصلي عليّ أحـــد غـــير الميرزا مهدي الشهرستاني(١٢).

و لم يكد السيد ينتهي من كلامه ، حتى لبّي نداء ربه ، وبعد الغسل والكفن طافوا بالجنازة حول ضريح أمير المؤمنـــين (عليه السلام) ثـــم اصطَّف العلماء والفضلاء ، وكل من حضر، لإقامة الصلاة على الجنازة .

وحدثت جلبة بسيطة انه كيف قال السيد بإن الشهرستاني يصلي عليه وهو في كربلاء ثم فوجئ الحاضرون بعدها بدخـــول الشهرستاني من الباب الشرقي للحرم المطهر .

وعندما سئل عن سبب مجيئه إلـــى النجف ، أجاب : حينما سمعت بمرض السيد بحـــر العلـــوم (قدس سره) عزمت على المجيء لزيارة الأمير (عليه السلام) وعيادة السيد . و لم يجد الجمع بدّاً من أن تتفق كلمتهم على تقديم الشهرستاني للصلاة .

وهكذا تحقق ما تنبأ به السيد بحر العلوم رضوان الله تعالى عليه ، من صفائهِ نفسه واتصاله بإذنـــه سبحانه بعالم الغيب .

**يشفى على يد الإمام المنتظر ( عجل الله تعالى فرجه )**

حكى الشيخ الحر العاملي(١٣) قصة مرضه في الطفولة ، فقال : أصبت فـــي صـــغري بمـــرض عضال ، بحيث فقد الجميع الأمل في بقائي . وفيما كنت أنا على تلك الحال ، وأنـــا بـــين النـــوم واليقظة ، رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئـــمة الأطهار ( صـــلوات الله علـــيهم أجمعين ) ، فسلمـــت عليهم وصافحتهم .ولقد كلمني الإمام الصادق (عليه الســـلام) إلاّ أنـــي لا أذكر من حديثه سوى دعائه (عليه السلام) لي بالشفاء .

وأتذكر أنـــي عندما صافحت الإمـــام الحجـــة ( عجل الله تعالى فرجـــه الشريف ) لم أتمالك نفسي من البكاء ، وقلت له : يا مولاي ، إني أخاف أن أموت في مرضي هذا و لم أصل إلى هدفي في طلب العلم والعمل .

فقال (عليه السلام) : لا تخف ، أنك لا تموت فـــي مرضك هذا ، وإن الله سبحانه سيمنّ عليك بالشفاء ، وسيطول عمرك . ثم ناولني قدحاً فشربت منه . وأفقت من تلك الحالة ، وأنا سالم معافى ، كأن لم يكن بي مرض أو علة .

ووسط فرحة الأهل ودهشتهم ، كنت أحكي لهم قصّة الداء العضال والنوم واليقظة .

**من صافحني دخل الجنة**

ومثل قصّة الحرّ العاملي الآنفة الذكر هذه ، حكى الشيخ نجم الدين قصّة له مماثلة فقال : بينمـــا كنت في حالة بين النوم واليقظة ، شاهدت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمـــير المـــؤمنين (عليه السلام) ، فأخذت يـــد أمير المؤمنين أصافحها واستفيض منها . وعندما مرّ بخاطـــري حديث نبوي يقـــول : (من صافح علياً دخل في الجنة) (١٤) . فسألت الإمام (عليه السلام) عـــن مـــدى صحته، فقال : نعم صـــدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وســـلم) : (مَـــن صـــافحني دخـــل الجنة)(١٥).

**من خاف الله خافته المخلوقات**

نقل المحدث القمـــي (قدس سره) عن ( أمان الأخطار ) إنّ السيد ابن طاووس كـــان يقـــول : كنت أسكن ـــ زماناً ـــ بجوار مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) .

ولقد فوجئت ذات يوم بزوجتي ، وقد أقبلت إليّ هلعة خائفة لا تمتلك أن تـــتكلم . وبعـــد أن هدّأت من روعها أخبرتني إنها رأت ، بأمّ عينيها ، الحصران التي بمدخل الحمـــام ، وهـــي تنطـــوي وتنفرش ، ثم تنطوي وتنفرش دون أن أرى أحداً .

انطلقت معها إلى ذلك المكان ، وناديت بصوت سموع : السلام عليكم ، ما هذا الـــذي نـــراه منكم ، ونحن في جوار مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ونحن أولاده وضيوفه ؟ فلا تكدروا علينا صفو هذه المجاورة وإنكم لو كررتم فعلتكم هذه مرة أخرى ، فإنّا سنشـــكوكم إلى الإمـــام (عليـــه السلام) .

وبعد ذلك الخطاب لم نشهد منهم أذى أبداً .

نعم ، أن الله سبحانه ليكفي شرّ الجن والإنس ، ببركة الأدعية والأذكار ، وقراءة القرآن الكريم ، مضافاً إلى ما ذكروه (عليه السلام) من أن أقتنأ الحمام والديك الأبيض في المنزل ، يساعد على طرد الجن بإذن الله عزّ وجل .

يقول السيد ابن طاووس : إن الإنسان إذا خاف ربه خوفاً حقيقياً ، فإن جميع المخلوقات ستخاف منه ، لأن المؤمن إذا كان مخلصاً أخاف الله منه كل شيء . وهو مصداق الحديث الشريف : (من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء) (١٦) .

## القرينان

قال السيد نعمة الله الجزائري(١٧) (قدس سره) : في إحدى ليالي الجمعة ، وبعد بكاء وأنين ، وتضرع وخشوع ، رأيت في منامي صحراء واسعة ، ليس فيها غير دار واحدة . والناس يتوافدون عليها من كل الأطراف .

قصدت الدار مع الوافدين ، فشاهدت رجلاً جليل القدر ، وقد قعد في إحدى زواياها يجيب عن أسئلة السائلين .

سألت بعض الحاضرين ، من يكون هذا ؟

قالوا : إنه رسول الله .

انسللت بين الصفوف ، ودنوت منه وقلت : يا جداه ، بلغنا عنك دعاء ، أمرتنا بذكره في الصلاة ، وهو ( إني أقدّم إليك محمداً بين يدي حاجتي ، وأتوجه به إليك ) . ولم يرد في الدعاء اسم علي (عليه السلام) وإني اذكر دائماً اسم أمير المؤمنين مع اسمك يا رسول الله في الدعاء وأنا أخاف أن أكون قد أحدثت بدعة بعملي هذا .

فما راعني إلاّ والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يرفع إحدى يديه ويضم منها إصبعين ويقول : إن ذكر اسم علي مع اسمي ليس بدعة .

وعندما استيقظت من نومي ، وراجعت الدعاء ، فوجئت باسم علي (عليه السلام) ، قد انتقش مع اسم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

## تجسيم الأعمال

أحد الزهّاد في مدينة كربلاء المقدّسة ــ والذي عاشرته من قريب وكان مظهره يخبر عن زهده ، حيث كان دائم الذكر لله سبحانه وتعالى ومشغول الذهن وبعيد عن زخارف الدنيا

وزينتها ـــ كان جالساً ذات يوم في محل أحد الحلاقين في سوق قبلة الإمام الحسين (عليه السلام) وإذا به يـــرى جنـــازة تمرّ بمشيّعين كثيرين ، ولما وقع بصره على الجنـــازة امـــتعض بشـــدّة ، وقـــال لصاحب المحل وفي حالة تعجّبٍ واستغراب ما هذا الكلب الذي يجلس على التابوت ؟

فنظر الحلاّق وفي حالة استغراب قال : إني لا أرى شيئاً .

عندها أخذ الزاهد يمشي خلف الجنازة وهـــو يســـأل المشيّعين عمـــّا فوق التابوت ، وكـــانوا يقولون وفي حالت تعجّب من هذا السؤال : لا شيء سوى القماش الأسود الذي يلّف به التابوت .

وعند وصول الجنازة إلى باب الحرم فإذا بالزاهد يـــرى الكلب وقـــد تعلّـــق بـــالهواء بعـــد أن أدخلت الجنازة إلى الحرم .

فدخل الزاهد مع المشيّعين والجنازة إلى الحرم الشريف و لم يكن فوق التابوت شيء ، ولما خرجوا من باب الشهداء(١٨) متوجّهين إلى حرم أبي الفضل العبّاس (عليه السلام) رأى الزاهد ذلك الكلب ، وقد هوى على الجنازة .

أقول : لعل هذا الكلب هو تجسيم لعمل الميت في الدنيا . ونظير هذه القصّة ذكرها المحـــــدّث الشيخ عباس القمي ) قدس سره ( فـــي كتابه القيّـــم منازل الآخرة : من دخول الكلـــب إلى قـــبر ذلك الميّت .

وقد جاء في القرآن الكريم : ( فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إن تَحمِل عَلَيهِ يَلـــهَث أو تَترُكـــهُ يَلـــهَث )(١٩) .

وقد ورد في الدعاء : (من دنيا استكبلتني) أي جعلتني كلباً .

وقد ورد في التاريخ إن الإمام الصادق (عليه السلام) كشف للذي كان معـــه وجـــوه مـــن في عرفات على حقيقتهم ، فرآهم على هيئة حيوانات مختلفة والقليل منهم على هيئة إنسان .

وفي جملة من الأحاديث إنّ صور الإنسان فـــي يوم القيامة تكون كصفاتهم الباطنية أو أعمـــالهم المحرّمة ، فبعضهم يكون كالذر يداس بالأقدام وهكذا .

### إنسان على هيئة حمار

قال أحد علماء النجف الأشرف ، رأيت إنساناً دخل حـــرم الإمام أمير المؤمنين علـــي (عليـــه السلام) وسلّم على الإمام وهو على عجالة من أمره ويتمتم ببعض الكلمات لم اســـتطع فهمهـــا ، فأحببت أن استفسر عن هـــذه الظاهرة التي أوقفني فضولي عليها . فتقدّمت إليـــه وســـلّمت عليـــه وسألت عن سبب خروجـــه من الحرم بهذه السرعة ثم سألته عن الألفاظ التي كان يتمتم بها .

في البدء أبى أن يجيب ، ولكن بعد إصراري وإلحاحي قال : إنّ العالم الزاهد الفلاني ـــ وذكر اسمه ـــ . قال في درسه ذات يوم : إن لكلّ إنسان صورة واقعيّة ، والأئمة المعصومون (عليه آلاف التحية والسلام) يرون كل شخصٍ على صورته الواقعية . وبعد أن أتمّ الدرس سألته : ما هي صورتي ؟

قال ذلك العالم الزاهد : صورتك على هيئة حمار .

وإنني كلّما دخلت حرم الإمام علي (عليه السلام) للزيارة خرجت مسرعاً خجلاً من الإمام المعصوم ، وأتمتم مع نفسي مخاطباً إياها : يا حمار ، وألومها على ما أصابني وما اقترفت من ذنوب لعل الله سبحانه يبدّل صورتي إلى صورة إنسان .

أقول : وقد ورد في الحديث الشريف : (أما يخاف الذي يصلي بغير حضور قلب أن يحول الله صورته صورة حمار) .

وفي الآية المباركة : ( كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحمِلُ أَسفَارَاً ...)(٢٠).

**الدعاء الذي أنقذه من الموت**

في عام ١٢٦٠هـ انتشر وباءٌ في نجف الأشرف وقد ذهب ضحيته كثير من الناس . وقد أبتلي فجأة السيد علي الشوشتري الذي كان من المقربين عند الشيخ الأنصاري بهذا الوباء ، واضطربت حالته .

أراد بعض من في الدار أن يخبر الشيخ الأنصاري بذلك . ولكن السيد الشوشتري قال : لا حاجة لذلك ، فإن الشيخ سيأتي بعد قليل .

وبعد لحظات فإذا بالباب تطرق .

قال السيد افتحوا الباب فإن الشيخ قد وصل .

وعندما فُتحت الباب فإذا بالشيخ مع خادمه الملا رحمة الله .

قال الشيخ الأنصاري للسيد الشوشتري : ستشافى في القريب العاجل . قال السيد الشوشتري : وكيف ذلك ؟

أجاب الشيخ أنني طلبت من الله سبحانه وتعالى أن تصلي على جنازتي .

وبالفعل : أُستجيب دعاء الشيخ ، فقد برئ السيد من مرضه وصلى على جنازة الشيخ الأنصاري .

**مَن يتق الله يجعل له مخرجا**

كان السيد محمد الدزفولي مشغولاً بالمطالعة وبين فترة والأخرى يسرح فكره في الديون التي حان وقت تسديدها ، وكانت هذه الديون البالغة ثمانين تومان تؤرقه كثيراً . ثم خلد إلى النوم وإذا به يرى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول له : ( لا تفكر بديونك لقد أوصيت الشيخ الأنصاري بتسديدها ) .

وبالفعل في صباح يوم التالي جاء خادم الشيخ الأنصاري الملا رحمة الله يقول: إن الشيخ الأنصاري في انتظارك .

وعندما دخل السيد محمد الدزفولي على الشيخ الأنصاري قال له : أعطني أسماء الذين يطلبونك ومقدار ديونهم وسأقوم بتسديدها .

١ ــ الشيخ عباس محمد رضا بن ابي القاسم القمي ، ولد في مدينة قم المقدسة سنة ١٢٩٤هـ ، وتوفى في النجف الأشرف سنة ١٣٥٩هـ ، وكان من المحدّثين المتقين ، ويعدّ من تلاميذ الشيخ حسين النوري ، ترك عدّة مؤلفات منها : مفاتيح الجنان ، الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية ، بيت الأحزان ، الكنى والألقاب .

٢ ــ من العلماء الأجلاّء في ذلك العصر وكان وصياً للشيخ الأنصاري .

٣ ــ اصطلاح فارسي يطلق على مكان تجمع الناس لقراءة العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) .

٤ ــ الشيخ محمد بن مكي العاملي الجزيني ، ولد سنة ٧٣٤هـ ، واستشهد في دمشق في التاسع من جمادى الأولى سنة ٧٨٦هـ عن عمر يناهز الثاني والخمسين ، ويُعد من تلاميذ فخر المحققين والشيخ شمس الدين .

ترك واحداً وعشرين مؤلفا منها : اللمعة الدمشقية ، الرسالة الألفية في الصلاة ، القواعد والفوائد في الفقه ، الدروس الشرعية في فقه الإمامية ، نهاية المراد في شرح الإرشاد .

٥ ــ وكان بيدمر نائب السلطان يرقوق الذي كان يسكن في مصر في عهد السلطان بايزيد العثماني و لم تكن مصر وبلاد الشام آنذاك داخلة في حكمه .

٦ ــ لا يخفى بطلان مقولة القاضي على ما ذكره المؤلف ( دام ظله ) في موسوعة الفقه كتاب القضاء ، وهكذا ذكر سائر الفقهاء .

٧ ــ إنّما قال الشهيد ذلك لانّ الشافعي يجيز توبة المرتد .

٨ ــ سورة الرعد : الآية ١٤ .

٩ ــ من فقهاء عصره ، اشتهر أمره في التقليد ولا سيما في بلاد الهند ، درس في مدينة كربلاء عند المولى محمد سعيد المازندراني الشهير بسعيد العلماء ، وهاجر الى النجف ودرس عند

الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر والشيخ مرتضى الأنصاري ، توفى سنة ١٣٠٩هـ ، من مؤلفاته ذخيرة العماد ، مناسك الحج ، الدرّة النجفية .

١٠ ــ هو صهر ناصر الدين شاه ، أحد ملوك إيران في العهد القاجاري .

١١ ــ السيد محمد مهدي بن السيد محمد بن السيد محمد تقي بن محمد رضا الطباطبائي المشهور ببحر العلوم ، ولد في كربلاء سنة ١١١٥هـ وتتلمذ عند العلماء الإجلاء أمثال المجدد الشيرازي ، وكان من العلماء المعروفين بالزهد والتقوى وحسن السيرة . يقول هبة الدين الشهرستاني في كتابه أسرة المجدد الشيرازي ص١٧١ ( كان بحق بحراً زاخراً بالعلوم الدينية حتى لقب عن جدارة ببحر العلوم ) . توفى سنة ١٢١٢هـ .

١٢ ــ كان الشهرستاني حينها يسكن كربلاء المقدسة ، في حين أن السيد بحر العلوم كان في النجف الأشرف .

١٣ ــ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي الجبعي المشهور بالحرّ العاملي ، ولد سنة ١٠٢٣هـ وتوفى سنة ١١٠٤هـ ودفن في إيوان المشهد الرضوي . خلّف ما يقارب ثمانية وعشرين مؤلفاً كبيراً وسبعة وعشرين منظومة وحاشية ، ومن مؤلفاته وسائل الشيعة ، إثبات الهداة ، أمل الأمل .

١٤ ــ ونظير هذا الحديث ورد في كتاب إرشاد القلوب ص٢٥٧ . (من صافح علياً فإنما صافحني... ومن صافحني فكأنما صافح أركان العرش ... ومن صافح محباً لعلي (عليه السلام) غفر الله له) .

١٥ ــ المقصود من صافحه وهو مؤمن بما جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لوضوح إن الأحاديث يفسّر بعضها بعضاً .

١٦ ــ كشف الغمة : المجلد الثاني ص١٣٥ ، تحف العقول : ص٥٧ ، مشكاة الأنوار : ص١١٧ ، جامع الأخبار : ص٩٧ .

١٧ ــ السيد نعمة الله بن السيد عبد الله بن السيد محمد الجزائري ، ولد في المنطقة الجنوبية من إيران سنة ١٠٥٠هـ وتوفى في الثالث والعشرين من شوال ١١١٢هـ ، وكان عالماً فاضلاً ومحققاً مدققاً ومتضلعاً في اللغة العربية وآدابها وفي الفقه والحديث ، ويُعد من تلاميذ المجلسي والسيد هاشمي البحراني والفيض الكاشاني ، ترك ثلاثاً وأربعين كتاباً وتعليقة منها : غاية المرام في شرح تهذيب الأحكام ، شرح روضة الكافي ، البحور الزاخرة في شرح كلام العترة الطاهرة ، أُنس الوحيد في شرح التوحيد ، الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية .

١٨ ــ المتصلة بشارع علي الأكبر .

١٩ ــ سورة الاعراف : الآية ١٧٦ .

٢٠ ــ سورة الجمعة : الآية ٥ .

## الفصل الرابع
## منزلة العلماء وعلو مقامهم

### فضل العلم على طالبيه

دخل سالم الأفطس يوماً على المأمون العباسي(١) ، وكان الأفطس آنذاك أحد العلماء المعروفين ، فقام المأمون له احتراماً وتعظيماً ، وأخذ الوسادة وثناها للأفطس بيده فلم يُرع المأمون إلاّ وهو يرى صاحبه قد خرّ ساجداً لله تعالى .

سأل المأمون : فيم هذا السجود ؟

قال الأفطس : تذكرت أموراً ، فسجدت شكراً لله عليها !

قال المأمون : وكيف كان ذلك ؟

قال الأفطس : كنت غلاماً مملوكاً ــ في صغري ــ لأحد القصابين ــ وقد حلّت به يوماً مصيبة ، فنذر لله سبحانه نذراً بأن يعتقني أن خلّصه الله منها . وبعد أيام أوفى بنذره بعد أن دفع الله تعالى عنه البلاء . لكني وجدت نفسي وحيداً وحائراً إلى أين أذهب ، وماذا أعمل ؟ وفجأة راودتني فكرة اختيار طريق العلم . فمضيت في طلبه وتحصيله ، حتى انتهى بي الحال إلى أن يقوم (الخليفة) بنفسه احتراماً لي واكباراً . ذلك من رحمة ربي وفضل العلم ، فسجدت لله شكراً على هذه النعم المتظافرة .

### الشهامة المخضوبة بالدماء !

حكى أحد العلماء فقال : كنت أصلي جماعة خلف السيد ابو الحسن الاصفهاني(٢)، وكان عدد المصلين يقدّر بالألوف . وفجأة حدث ضجيج بين المصلين ، أثناء سجود الركعة الثانية ، ارتفعت على أثره أصوات الاستغاثة ، وصرخ البعض : لقد قتل السيد حسن ! (وهو النجل الأكبر لإمام المصلين الاصفهاني ) . ترك قسم من المصلين صلاتهم ، وهرعوا إلى الصف الذي وقع الحادث الفجيع فيه ، ولكن السيد أبا الحسن الاصفهاني استمر في صلاته بكل هدوءٍ وسكينة .

وبعد أن أتمّ صلاته ، التفت إلى الوراء ، فرأي الفاجعة المروعة ، حيث قطع رأس ولده من الوريد إلى الوريد ، والقاتل معروف ومحاط من قبل المصلين ، وهو ( علي الأردهالي ) .

واجه الاصفهاني ذلك الموقف العسير بصبر جميل وبشهامة منقطعة النظير ، حيث لم يزد شيئاً على أن قال بصوت ثابت : ( لا إله إلا الله ) ثلاثة مرات . ثم عفى عن قاتل ولده !

### يتنكر لنفسه من أجل الإسلام

بعد وفاة السيد أبو الحسن الاصفهاني (قدس سره) اجتمعت الكلمة من قبل العلماء والأساتذة في الحوزة العلمية في النجف الأشرف على اختيار السيد حسين القمي(٣) لزعامة الحوزة ، والقيام بأعباء المرجعية .

قال السيد القمي لأصحابه وخواصه : لنذهب إلى مرقد أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فأدعوا وتؤمّنون على دعائي .

وبعد الانتهاء من مراسيم الزيارة ، رفع السيد القمي يده بالدعاء قائلاً : ( يا رب ، اقسم عليك بحق صاحب هذا القبر ، إن لم أكن أهلاً للمرجعية العليا وزعامة المسلمين ، ولا يمكنني أداء حقها ، وتحمل الواجبات الملقاة على عاتقي . أن تختم حياتي ، واقسم عليك يا رب بأن تعهد بها إلى من ترضاه من خلقك خادماً لدينك وحافظاً لمواثيقك ) .

وبعد انتهاء من الدعاء لم يسمع تأميناً من أصحابه . سألهم : لماذا لم تقولوا: آمين ؟ وقد وعدتموني بذلك ؟

أجاب أصحابه : خوفاً من استجابة الدعاء .

غير انه (قدس سره) أصرّ عليهم بأن يتقيدوا بوعدهم ، ثم دعا مرة أخرى ، وأمّن أصحابه . فاستجاب الله سبحانه دعاءه بالفعل ، ففارق الدنيا بعد شهور قلائل من تسلمه أعباء المرجعية العليا .

وفي مستشفى بغداد ، أغمى عليه بعد إجراء عملية جراحية في ظهره ، ثم عاد إلى وعيه ، وأصرّ على الملتفين حوله أن يساعدوه في النهوض من فراشه .

وعندما نهض توجه إلى جانب الباب وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ثم أغمض عينيه وفارق الحياة . الأمر الذي يظهر منه أن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) قد حضره عند لحظة سكرات الموت .

**لهذا بقيت الحوزة !**

ألقى رئيس شرطة قم ، المقدّم سجادي ، القبض على أحد طلاب العلوم الدينية ظلماً ، وأودعه السجن . ولما بلغ السيد البروجردي(٤) الخبر استشاط غيضاً وامتلأ غضباً ، وأمر بإحضار رئيس الشرطة .

وعندما مثل المقدم سجادي أمامه واجهه بالتوبيخ والتقريع ، وأمره بإطلاق سراح الطالب في أسرع وقت ، ثم يغادر المدينة ! فأمتثل سجادي لأوامر السيد فأطلق سراح المعتقل . شاع الخبر بين الناس ، وخاف كثيرون من نتيجة إجراءات البروجردي (قدس سره) . فتوافد عليه الأعيان وبعض المعارف ، يطالبونه بالعدول عن قراره طرد سجادي من قم . وعلّلوا ذلك بأن مدير

الشرطة رجل فظّ غليظ القلب ، ولا يتورع عن الانتقام وارتكاب الحماقات بحق الآمنين ، ولايبالي بقتلهم وسفك دمائهم ومصادرة أموالهم . لكن السيد ثبت عند موقفه ،

دون أن تزلزله التهديدات أو تزحزحه التهويلات من نتائج موقفه الحازم .

**منزلة العلماء**

قال الشيخ العراقي ضياء الدين(٥) في كتاب ( دار السلام ) : رأيت في المنام أني أعبر تلاً من جهة القبلة من الصحن المطهر(٦) . فالتفت إلى الحرم من أجل السلام والتوديع ، لكني فوجئت وأنا على ذلك الارتفاع بأني لم أشاهد من القبّة النوراء شيئاً ، فتعجبت ووقفت حائراً . وإذا بسيدٍ عليه شمائل الفضل والجلالة قد قرب مني ، وسألني عن حيرتي ؟ قلت له : لأنني لا أرى القبّة المطهرة في مكانها.

فقال لي : أنزل من التل إلى الأرض !

قلت : وما الذي سيحدث ؟

فقال : لا تحزن ولا تبتئس ، فإنهم سيرفعون القبّة ثانية ، بوسائل ومعدات ثقيلة ، ثم يضعونها في محلها ، دون أن يبقى أي صدع أو عيب .

يقول العراقي : في تلك اللحظة أفقت من نومي ، فعرفت بعدها أن الشيخ الأنصاري (قدس سره) هو المقصود من هذه الرؤيا .

فأخبرت بعض الأصدقاء بالرؤيا وتفسيرها . وهكذا لم يمض غير زمن قصير حتى انتقلت مقاليد المرجعية من بعد الأنصاري إلى السيد محمد حسن الشيرازي .

١ ــ سابع خلفاء بني العباس ، البالغ عددهم ٣٨ وبدأ حكمهم سنة ١٣٢هـ وانهارت دولتهم سنة ٤٣٢هـ .

٢ ــ السيد أبو الحسن محمد الموسوي الأصفهاني ، ولد في اصفهان سنة ١٢٧٧هـ وتوفى في الكاظمية سنة ١٣٦٥هـ آلت إليه المرجعية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائيني سنة ١٣٥٥هـ ، شارك في الحركة الدستورية في إيران كما شارك في ثورة العشرين وعارض تنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق . ترك عدّة مؤلفات منها : وسيلة النجاة ، شرح كفاية الأصول ، حاشية على العروة الوثقى ، حاشية على تبصرة المتعلمين ، منتخب الرسائل .

٣ ــ السيد حسين القميّ ، ولد في مدينة قم المقدسة سنة ١٢٨٢هـ ودرس فيها المقدمات وكذلك في طهران ثم انتقل إلى النجف سنة ١٣١١هـ لحضور درس الشيخ حبيب الله الرشتي

والشيخ النهاوندي والشيخ محمد كاظم الخراساني والسيد محمد كاظم اليزدي ، ثم هاجر إلى سامراء سنة ١٣٢١هـ لحضور درس الشيخ محمد تقي الشيرازي وبقي هناك عشرة سنوات . وفي سنة ١٣٣١هـ انتقل إلى مشهد الرضا وبدأ بالبحث والتدريس ورجع الناس إليه في التقليد ونُشرت رسالته العملية في أرجاء إيران ثم هاجر إلى كربلاء المقدسة . تصدى لرضا شاه ـ البهلوي ـ سنة ١٣٥٤هـ الذي اجبر النساء على التبرج والسفور ومنع إقامة الشعائر الدينية . رُشحّ للزعامة الدينية بعد وفاة السيد ابو الحسن الاصفهاني وزادت وجاهته وعظم شأنه ثم هاجر إلى النجف الأشرف وتوفى بعد عدة شهور وذلك في ١٤ ربيع الأول سنة ١٣٦٦هـ .

من مؤلفاته : مجمع المسائل ، الذخيرة الباقية في العبادات والمعاملات ، مختصر الأحكام ، طريق النجاة ، منتخب الأحكام ، مناسك الحج ، ذخيرة العباد ، هداية الأنام .

٤ ـ السيد حسين بن علي بن احمد بن علي نقي البروجردي ، ولد في بروجرد سنة ١٢٩٢هـ ، وينتهي نسبه إلى الإمام الحسن (عليه السلام) ، توفى سنة ١٣٨٠هـ في مدينة قم المقدسة ودفن في الجامع الذي بناه في حياته إلى جانب مرقد السيدة معصومة (عليها السلام) . تتلمذ عند الشيخ محمد كاظم الخراساني ، آلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبو الحسن الإصفهاني . ترك تراثاً فكرياً قوامه خمسين كتاباً ورسالة منها : تجريد أسانيد الكافي ، حاشية على الكفاية الأصول ، حاشية على العروة الوثقى ، بيوت الشيعة ، إصلاح واستدراك رجال الطوسي ، جامع أحاديث الشيعة ، دار السلام في فروع الإسلام وأحكامه .

٥ ـ الشيخ ضياء الدين العراقي : ولد في سلطان آباد عام ١٢٧٨هـ وتوفى سنة ١٣٦١هـ ، كان من الأساتذة المعروفين في التدريس والتحقيق والتدقيق ومن الشخصيات العلمية التي يشار لها بالبنان ، درّس في الحوزة العلمية في النجف خمسين سنة متواصلة وانتهل من معين درسه جمع غفير من العلماء والمجتهدين . من مؤلفاته : شرح التبصرة ، حاشية على العروة الوثقى ،كتاب القضاء .

٦ ـ لحرم الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في النجف الأشرف .

## الفصل الخامس
## مواقف العلماء من الطغاة

### ابن طاووس لا يبيع دينه

ذكروا أن رضي الدين بن طاووس(١) كان قد مرّ ببغداد ، فتوقف بها مدة خمس عشرة سنة . وكان سبب ذلك ــ كما ذكروا ــ هو وجود الوزير مؤيد الدين بن علقمي ، المعروف بالولاء الشديد لأهل البيت (عليهم السلام) ، فيما كان يعمل في البلاط العباسي كوزير للمستنصر .

وعندما عرف المستنصر(٢) بمكانة ابن طاووس العلميّة والدينيّة ، طلب منه أن يتولى منصب المفتي الأعظم للبلاد الإسلامية . غير أن ابن طاووس رفض طلب الخليفة ، ثم أوضح سبب ذلك في رسالة بعثها إلى ولده وكان مما جاء فيها : ( يا بني ، لا تُحمد عاقبة من تواطأ مع الظالمين، ولا يرجى خيرٌ من عالمٍ جلس على موائدهم ، فهم يستبدلون الدين بالدنيا ، ويشترون الفتاوى بمئات الدنانير، فهل أبيع ديني بدنياهم .. هيهات . فإنما هي القطيعة مع الله سبحانه ).

### الوصايا الست

غضب كسرى ملك الفرس مرة على ( بوذرجمهر) الحكيم المشهور ، فأودعه السجن . وأراد أحد رؤساء الشرطة أن يقف على أحوال السجين ومعنوياته ، فدخل عليه في محبسه ، وسأله عن أحواله ، فوجده قوي القلب ، ثابت العزيمة ، متهلل الوجه رغم ما حلّ به من نصب وعذاب .

ووسط تعجب الشرطي ودهشته ، تبسّم الحكيم وقال : سينقضي عجبك هذا ، لو عرفت ان سبب طمأنينتي هو ان عندي دواءاً مركباً من ستة عناصر ، صنعته بيدي وانا لا افتر عن تناوله .

سأل الشرطي : وما هو ذلك الدواء العجيب ؟

فأجاب الحكيم : بالتوكل على الله القادر ، والاعتقاد بقدرته والتسليم بقضائه ، والتحلي بالصبر والاستقامة ، والاعتقاد بأن الجزع والضجر لن يوصلا إلى نتيجة فعوّدت نفسي على تحمّل المصائب والمشاق ، والإيمان بوجود من هو أسوأ مني حالاً فشكرت الله على ذلك . ثم يقيني بأن التفاؤل يجلب الفرج .

أقول : نعم من توكل على الله سبحانه كفاه الأمور ومنحه السرور .

### شجاعة البهبهاني أنفذته من القتل

دخل الشيخ محمد علي البهبهاني ، صاحب كتاب ( مقامع الفضل ) على ملك إيران السلطان كريم خان زند ، وكان محمد خان القاجاري يقف إلى جوار الملك .

وجّه السلطان سؤالاً للشيخ يتعلق بمحمد خان ، فأعرب الشيخ عن رأيه بكل صراحة ، مما أغضب محمد خان ، لكنه أسرّها في نفسه و لم يبدها .

ومرّت الأيام ، وانتقل الحكم الى محمد خان ، ثم سمع الملك بأنّ الشيخ محمد علي البهبهاني في طريقه إلى مشهد عبر مدينة طهران . وعندما وصل الشيخ منطقة السيد عبد العظيم ، أصدر الملك أمراً بمنع الشيخ من دخول طهران ، وعليه الخروج من منطقة السيد عبد العظيم بأسرع وقت ، ثم كلّف وزيره فتح علي شاه بإيصال القرار إليه . لكن الشيخ بعد وصول الخبر أمر بأن تضرب له خيمة على مدخل طهران ليسكنها! وهكذا عادت أخبار الشيخ إلى القصر . فتوجه الملك إلى وزيره وقال : لنذهب إليه ، فإن في نفسي سؤالاً أحب أن أسمع جوابه منه ، فإن أجابني بمثل جوابه من قبل أكرمته وعززته ، وإلاّ قتلته من دون تردد.

وعندما سأل الملك الشيخ سؤاله القديم ، وهو محاط بحراسه وجنده ، أجابه الشيخ وهو في خيمته بجوابه القديم بلا تهيّب أو مبالات .

هنالك توجه الملك إلى وزيره وقال : حقاً ، أن هذا الشيخ عالم تقيّ ، ويستحق الاحترام والتوقير .

أقول : وهكذا يجب أن يكون العالم شجاعاً في سبيل إقامة حكم الله سبحانه .

### لا أضع يدي بيد الظالم

أصدر رضا خان(٣) ــ البهلوي ــ ، حاكم إيران ، أمره إلى عبد الله الطهماسبي لأن يهيئ لقاءاً له مع الميرزا صادق التبريزي(٤).

ولما علم التبريزي بالأمر ، حاول عدم اللقاء مع عبد الله الطهماسبي ، ولكن بعد محاولات عديدة وإصرار من الأخير ، استطاع أن يلتقي بالشيخ .

وفي اللقاء عرض الطهماسبي رسالته على الشيخ ، وطلب منه تحديد موعد لكي يزوره الشاه في منزله . لكن الشيخ رفض الاستجابة للطلب بشكل قاطع ، وعلّله بأنه لا يمكن أن يضع يده بيد ذلك الظالم . وكان مما قاله التبريزي للطهماسبي إني لو رأيت رضا خان يصلي فلن أصدق صلاته ، ليقيني بأنها محض مكر وخداع ، وتضليل وإغواء . وبقي الشيخ التبريزي ، إلى أن وافاه الأجل المحتوم في قم ودفن فيها ، وقبره فيها اليوم مزار معروف ، يقصده الناس للتبرك والدعاء .

### مواقف سطّرها البروجردي

بعث أهالي أذربيجان إلى السيد البروجـــردي ( قدس سره ) يخبرونه فيها بعزم قوات الحكومة في المدينة على إحياء الشعائر المجوسية(٥).

فكتب السيد البروجردي من فوره رسالة إلـــى الشاه ( رضا خان ) جاء فيها . أنـــه إذا كـــان الملك يريد إعـــادة عبادة النار فإن تلك المعارك الإسلامية ، والمواجهة التي حدثت في صدر الإســـلام مع عبّاد النار ، سوف تشتعل بوجهه اليوم .

وحينما قرأ الملك الرسالة أمـــر فـــوراً بإيقاف تلك المراسم والاحتفالات . خوفاً من اضطراب الأمن في البلاد .

### البروجردي وما يسمى بالإصلاح الزراعي

عنـــدما أصدر محمد رضا ـــ حاكم إيران ـــ قراراً بتطبيق قانون ما يسمى بـــــ ( الإصـــلاح الزراعي )(٦) وقف السيد البروجردي في وجهه .

وقـــد استشار السيد علماء الحوزة حول صيغة الردّ علـــى الشاه ، فقال بعضـــهم : إن كـــلام الشاه خلاف القانون الأساسي الذي ينص على أن التشريع بيد المجلس ، وليس من صلاحيات الشاه ، وقال بعض آخر ، جواباً آخر . غير أن السيد أرتأى رأياً آخر وجّهه إلـــى الملك حاصله : أنـــك حينما ذكرت بأن قانون إصلاح الأراضي قد عملت به بعض البلاد الإسلامية الأخرى فقد غفلت أو تغافلت عن أنه إنما عمل به هناك بعد أن صارت تلـــك البلاد جمهوريات !

وبعد أن قرأ الشاه الرسالة ، غض الطرف عن إجراء القانون خوفاً ـــ إلـــى أن تـــوفي الســـيد البروجردي ( قدس سره ) لكنه عاد بعد رحيل السيد لتطبيق القانون المذكور ، الأمر الذي عمل على تعجيل إسقاط حكومته .

وفي لقاءٍ للسيد البروجردي مع رئيس الوزراء الإيراني ( إقبال ) قال السيد البروجردي لـــه : إن رضا خان كان أميّاً ، ولكنه كان يمتلك قدراً من الشعور ، أما ابنه محمد رضا فلا يملك أي شـــعور . وأنّ تماديه في معارضة الدين ورجالاته سوف تؤول به إلى السقوط !

### السيد القمي مع محمد رضا

طالب السيد حسين القمي ( قدس سره ) محمد رضا خان ورئيس حكومته ( السهيلي ) بإطلاق الحريات في البلاد ، وعدم الوقوف أمام قوانين الإسلام ، غير أن الشاه لم يأبه لقوله . مما حدا بالسيد

البروجردي لأن يبعث برسالة تهديد إلى الشاه يظهر أنه يتضامن فيها مع مطاليب السيد القمي ، وإن الشاه ان لم يلبّ تلك المطاليب فإنه سوف يحرّك العشائر بوجهه . فتخوف الشاه من ذلك. وقبل اقتراحات السيد القمي لأنه كان يعلم أن تهديد البروجردي معناه آثاره منطقة لرستان في وجهه . وهكذا اتفاق العالمين بعضهما مع بعض أثمر ثمرة المطلوبة .

### البروجردي يطرد الشاه

عاد الشاه ـــ محمد رضا ـــ من محافظة خوزستان ، وفي طريقه توقف في مدينة قم المقدسة ، وطلب اللقاء بالسيد البروجردي . غير أن السيد رفض الطلب وعلّق عليه بتعليق طريف ، وهو أن الشاه في سفرته السياحية والترفيهية إلى خوزستان كان يتفنن في التقاط الصور مع زوجته هناك ، وثم جاء هنا إلى قم لمتابعة رحلته الترويحية لالتقاط الصور معنا . وإني لست على استعداد لمقابلته بعد كل هذه الفضائح التي اقترفها في خوزستان(٧).

### الكاشاني يشكل حزباً سياسياً

بعد احتلالهم للعراق سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) ، وسَّع الإنجليز نفوذهم في البلاد ، بحيث صاروا يهددون العديد من البلدان الإسلامية .

وهنا جاء دور العلماء فقام ابو القاسم الكاشاني(٨) ـــ تحت لواء الشيخ محمد تقي الشيرازي ـــ بتوحيد العشائر العراقية المسلحة في الأرياف والمدن ، وعبّأ الجماهير ضد الإنجليز ، والتحق بركبه آلاف الشباب .

كما أهتم ( قدس سره ) وبمساعدة العلماء الآخرين من تأسيس حزب سياسي منظَّم ليسهل من عملية التعبئة الجماهيرية ، مما أثار الإنجليز ، لكنهم حاولوا في البداية شراءه بالأموال الطائلة ، حيث أرسلوها مع أحد عملائهم من العراقيين ليرشوه بها ويسكتوه .

ولما كان الكاشاني على معرفة بمبعوث الإنجليز ـــ لأنه كان من أهل المدينة ـــ لذلك وبخه وزجره وقال له في لهجة عتاب :

كيف تقوم بهذه الأعمال المخالفة لدينك وأمتك ؟ كيف سمحت لنفسك أن تقبض هذه الأموال للتجسس على أهلك ولمساعدة أعدائك الإنجليز ؟

قال المبعوث : صعوبة الحياة ، وضيق العيش .

قال الكاشاني : وما هو قولك ان وجدنا لك عملاً تسدّ به عوزك وحاجتك ، وترفع به رأسك أمام الله وأمام ضميرك وإمام الناس . وتخرج به من هذه الذلّة والمسكنة .

قال المبعوث : موافق !

قال الكاشاني : فأهلاً بك معنا في صفوف الثورة .

وهكذا انقلب السحر على الساحر ، وصار المبعوث فيما بعد أحد أعوان الكاشاني وأنصاره .

وقد بلغت نشاطات حزب الكاشاني أوجها في الدفاع عن تراب العراق وكرامته ، تحت قيادة الشيخ الشيرازي ، إلى أن تمكنوا من إخراج القوات البريطانية من العراق .

وأما أعوان الإنجليز وجواسيسهم ، فقد أصابهم الخوف والرهبة ، وأدركوا أن تعاونهم مع الاستعمار سيذهب بهيبتهم ومنزلتهم بين العراقيين ، فتخاذلوا عن الإنجليز بعد أن خذلوهم .

### الفتوى التي أوقفت المدّ الشيوعي

احتلت روسيا بعضاً من البلاد الإيرانية ، على أيام السيد محمد الطباطبائي ، المعروف بالسيد المجاهد(٩) . وقد انتهكت الجيوش المعتدية الإعراض وسفكت الدماء ، وسبت النساء والشيوخ والأطفال ، فاستغاث أهالي إيران بالسيد المجاهد ، وكان آنذاك نزيل مدينة كربلاء المقدسة ، فأصدر ( قدس سره ) فتواه بالجهاد ضد الروس المحتلين ، مع جماعةٍ من العلماء . فكانت فتاواهم سبباً لتنظيم الشعب الإيراني جهوده ، وتعبئة شبابه ورجاله وتسليحهم ليقفوا بوجه الروس ، ويوقفوا زحفهم على مناطق أخرى من إيران .

ولولا تلك الفتوى ، واخواتها ، لكانت إيران تحت السيطرة الروسية .

### مواقف وأهداف

ذكر أن السيد عبد الحسين الحجة حينما نال شرف زيارة بيت الله الحرام ، حصل بينه وبين الملك ابن سعود لقاء ، فاغتنم الملك الفرصة ليوجّه الدعوة من خلاله إلى السيد أبي الحسن الاصفهاني لزيارة بيت الله الحرام .

لكن السيد الاصفهاني جعل استجابته للدعوة مشروطة بإجازة الملك لبناء قبور أئمة البقيع وسائر المشاهد المشرّفة في مكة المكرمة والمدينة المنورة .

قال الاصفهاني : فإن منحونا الإجازة لتعمير القبور بالشكل الذي نراه لائقاً ، فإننا لن نتوانى لحظة واحدة في تلبية دعوتهم والتشرف بحج بيت الله الحرام .

وبما أن الملك السعودي لم يستجب لطلب الاصفهاني ، فإنه لم يحج ، حتى وافاه الأجل .

ومما يذكر إن السيد الاصفهاني ( قدس سره ) كان يقول : كنت أطمع للوصول إلى هـــدفين ، طالماً كنت أفكر فيهما .

الأول : شراء البيوت والأراضي المجاورة لحرمي الإمامين العسكريين في مدينة سامراء ، وإسكان موالي أهل البيت هناك . الثاني : ( ذكر الشهادة الثالثة ، أي الشهادة بالولاية لأمير المؤمنين (عليـــه السلام) فـــي الأذان بالمسجد الحرام . وقد حصل الأول ، وأسأل الله ان يوفقني إلى الثاني(١٠).

## الولايات مضامير الرجال

كان سلوك رضا خان ـــ حاكم إيران ـــ مناقضاً وملفتاً للانتباه . فبينما هو ينادي بشيء قبـــل حكمه ، ويتظاهر بتأييده ، إذ هـــو يشن عليه حرباً شعواء لاهوادة فيها بعد استيلائه على مقاليـــد الحكم .

فقبل تربعه على كرسي السلطة ، كان رئيساً لمجموعة من فـــرق الجيش . فكان يقودها في يـــوم عاشوراء في مراسيم عزاء التطبير . وكان يتظاهر بالإيمان والتديّن ، والقيام بالشعائر الحسينية .

وكانت مجاميع عزاء التطبير التي يقوم على تنظيمها من أكثر المجاميع وأتمها نظاماً . كـــــــــما كـــــــان يذهب برفقـــــة عناصر الجيش . بعد الانتهاء من المراسم . إلى منزل السيد كمال الدين البهبهاني(١١). فيعرف جنوده علـــى أنهم جنـــود الإمام الحجة ( عجل الله تعالى فرجـــه ). ولعلـــه وأصل إظهار نفسه بهذه الصورة حتى في بداية حكمه، حيث كان يتردد على منزل الشيخ عبد الكريم الحائري(١٢).

لكنه حينما استتبت له الأوضاع أشاح اللثام عن وجهه ، واظهر الخافي من نواياه المبيّتة .. فبدت عداوته للإسلام والتشيع والشعائر الحسينية !

واستمات في خدمة أسياده الغربيين إلى درجة انه يمنع الحجـــاب ، ويبيح التـــبرج والفجـــور ، ويحظر الشعائر الحسينية ! الأمر الذي دفع بالعلماء في إيران إلى أن يقفوا في وجهه ، ويتخـــذوا منـــه موقف العداء ، ومنهم الشيخ عبد الكريم الحائري نفسه وقتل الوف الناس في مســـجد كَوهرشـــاد بمشهد .

و( ما طار طير وارتفع ، إلا كما طار وقع ) ، حيث نبذه أسياده الغربيون بعد أن استنفذوا منـــه أغراضهم ، وحقق لهم ما يريدون ، ونفوه إلى جزيرة موريس ، ولم ينسوا أن يأخذوا منه قبل ذلك ( الحقائب الألف ) المملوءة بالذهب والمجوهرات والأمور الثمينة ، التي كانت حصيلة سرقاته من بلده .

## تاريخ الإسلام في بلاد الغرب

عندما انطلق مبعوث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الروم ، لم يكن يحمل رسالة واحدة ، بل رسالتين ، إحداهما إلى القيصر ملك الروم يدعوه فيها إلى الإسلام ، والأخرى كانت إلى الباب الأعظم ـــ ضغاطر ـــ ، ومما جاء فيها : (قولوا آمنّا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى والنبيّون من ربّهم ، لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون )(١٣) .

وكان لهذه الرسالة الأثر البالغ على قلب الباب الاعظم ، فإنه قرأ الرسالة بكل إمعان ودقة ، ثم توجه نحو سفير الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال :

والله إن صاحبك لنبيّ مرسل نعرفه بصفةٍ نجدها في كتابنا .

وغاب عدة لحظات ثم عاد بعدها ، وقد اعتمر أفخر ملابسه ، وتوجّه إلى الكنيسة . حيث تجمع الناس ببابها لتأدية المراسم ، وهناك وقف متكئاً على عصاه ، وخطب فيهم قائلاً : أيها الناس ، يا معشر الروم ، وصلتنا من أحمد هذه الرسالة ، وإني آمنت بنبوّته ، فأسلموا .

انقسم الجمع إلى فريقين ، ثم وقع الاختصام ، ثم تحوّل الجلبة إلى حرب حقيقية أدت إلى استشهاد الباب الأعظم وجمع غفير ممن أسلموا معه .

ومنذ ذلك اليوم عرفت بلاد الروم الإسلام ، وآمن به بعض أبنائها .

## كلمات تهزم السيوف !

عندما احتل هولاكو بغداد سنة ٦٥٦هـ أمر جلاوزته بجمع العلماء والوجهاء في المستنصرية لأجل الاستفتاء في جواب السؤال التالي : ( أيهما أفضل : السلطان الكافر العادل ، أم سلطان المسلم الجائر ؟ ) .

تحيّر العلماء في جوابه . غير أن السيد ابن طاووس تدارك الأمر ، وكتب على ورقة : ( الكافر العادل أفضل من المسلم الجائر ) ثم أمضى بتوقيعه على الورقة ، وتابعه على ذلك سائر العلماء . وبذلك نجى الجميع من بطش هولاكو وجبروته .

وعندما سئل ابن طاووس عن وجه جوابه هذا ، قال : لأن الحاكم الظالم المسلم ، إسلامه لنفسه ، وظلمه على الرعية ، وأما العادل الكافر ، فكفره على نفسه ، ولكن عدله يشمل به الرعية(١٤) .

## فتنة الأفغان ودور البهبهاني

أعلن السيد عبد الله البهبهاني(١٥) ( قدس سره ) التعبئة العامة لأهالي بهبهان بعد أن تعرضت مدينتهم لهجوم من قبل حكومة الأفغان المنحرفة عن منهج أهل البيت عليهم السلام .

فأغلق الأهالي أبواب المدينة وقاوموا المعتدين المدججين بالسلاح ، رغم طول الحصار وشحة المؤن وقلة السلاح ، حيث لم يكونوا يمتلكون سوى مدفع واحدٍ .

نعم ، توكلوا على الله واحتسبوه ، ونصبوا مدفعهم الوحيد باتجاه قوات الأفغان ، ثم حشوة بالعتاد النحاسي ، وسلّموا حبل الإطلاق للسيد البهبهاني ، بغية التبرّك والتفؤل بالخير .

وفعلاً جرّ السيد الحبل وإذا به يصيب خيمة ملك الأفغان نفسها ، ممّا أدّى إلى تقهقر فلول الغزاة المعتدين وانسحابهم ، وخلاص الأبرياء من أطماعهم ووحشيتهم .

## مسؤولية العالم في إسقاط الطاغية

السيد محمّد تقي المشهور بـ ( مير خدائي ) من علماء خراسان ، وكان معروفاً بالزهد والتقوى ، وشاع سيطه في إيران ووصلت شهرته إلى مسمع السلطان حسين الصفوي ، الذي دعاه إلى اصفهان ، غير أن السيد رفض هذه الدعوة ، فغضب السلطان وكتب إلى أعيان خراسان ، إنهم مكلفون بإرسال السيد مير خدائي إلى اصفهان وإلاّ فأنهُ سيعتبر الجميع مقصّرين ويستحقون عقابه .

لكن التهديدات لم تثني السيد عن قراره في الابتعاد عن مناصب السلطان ومكافئاته ، وفضَّل حفظ دينه ونفسه بعيداً عن ذلك، فان السلطان انحرف عن جادة الشرع والصواب ، لذا تركه العلماء كالمجلسي ( قدس سره ) ، وذلك صار سبب سقوطهُ لان شعبيته سقطت مما جرَّءَ الأعداء عليه وصار مصيره أن سُلب ملكه وقُتل .

## توكل على من لا ينساك

بعث الآخوند الخراساني ( قدس سره ) ، برقية احتجاج وتهديد إلى السطان العثماني عبد الحميد لاقترافه أبشع الأعمال المنافية للشريعة المقدسة .

عندما انتشر خبر البرقية في الأوساط ، توجه بعض شيوخ العشائر وبعض الأعيان والوجهاء إلى الشيخ الخراساني يلومونه على ذلك ، وقالوا له : هل تدري ماذا فعلت يا شيخنا ، إنّ البرقية ستكون وبالاً علينا ، ستصبح النجف الأشرف والحوزة العلمية هدفاً لقذائف العثمانيين . فهل تظن إن هذا كسلطان العجم يخاف منكم ؟ ألا تدري أنه بإشارة واحدة

قتل سبعين ألف من الأرامنة؟ ألا تعلم إنّ هذا السلطان رجل جزّار لا يخاف الله ولا يرعى حرمة لأحد ، وليس مهماً لديه أن تفنى النجف بأهلها .

أجابهم الشيخ بكل هدوء وطمأنينة ، إنكم تخافون السلطان وأنا لا أهابه ، وقد إستخرت الله سبحانه في إرسال البرقية ، وان الخير ما اختاره الله سبحانه وهو معنا وسينصرنا . انتزعوا الخوف من قلوبكم واتقوا الله ولا تخافوا أحداً غيره .

اقول : إنّ مواقف الشيخ من السلطان العثماني والتفاف الناس حوله أضعف السلطان ، وهكذا نرى الشيخ الخراساني ( قدس سره ) يحارب الروس والعثمانيين وسلاطين إيران في وقت واحد ، وقد سبّب ذلك إنقاذ إيران والعراق من الأفكار التي كانت تهددهما آنذاك .

## وصية الإمام العسكري أنقذت القزويني

أخرج الملاّ علي كني لضيوفه من العلماء رسالةً كان يجّل لها فائق الاحترام والتقدير وكانت الرسالة بخط الميرزا الشيرازي ومختومة بختمه ، ثم أضاف أن هذه الرسالة ثمينة وقيّمة ، لأني أحسّ كأنها صدرت من الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) وقد أوصيت ولدي أن يضعها بعد موتى في كفني .

ومحتوى الرسالة هي توصية من الميرزا بحق أحد السادة من أهالي قزوين وكانت القصة كالتالي : إنّ أحد المتنفذيّن في الدولة القاجارية أغتصب أملاكاً للسيد القزويني ، فذهب السيد إلى الملاّ كني شاكياً حاله ويرجوا مساعدته في تخليص ملكه من الغاصب .

لكن الملاّ كني لم يكن قادراً على انتزاع الملك الغصبي من الغاصب الذي كان من رجال الدولة ، فيئس السيد من مساعدة الملاّ كني له ، خاصة بعد مرور فترة ليست بقصيرة على شكايته .

وفي تلك الفترة عزم ثلاثة من أصحاب السيد على السفر إلى العتبات المقدسة في العراق وكان أحدهم : العالم العامل السيد محمد تقي التنكابني . فقرّر السيد السفر معهم ، وكان حديثهُ الدائم : إن هدفي من السفر الوصول إلى مدينة سامراء لاشتكي عند الميرزا الشيرازي .

يقول السيد التنكابني عندما وصلنا إلى سامراء التقينا بالميرزا الشيرازي ، فشكى السيد القزويني مشكلته للميرزا وان الملاّ كني لم يساعدهُ المساعدة المطلوبة .

قال الميرزا إني لا أستطيع أن افعل اكثر مما فعله الملاّ كني ، أصاب السيد القزويني الإحباط من كلام الميرزا ، وأدلف إلى الإمامين العسكريين (عليهما السلام) وأخذ يتوسل بهما لتقديم العون لهُ . وأخذ يستغيث طويلاً وعلا صوته بالبكاء والنحيب ، وفي منتصف تلك الليلة حينما عزمنا على الخروج من سامراء رأينا السيد يعدّ حقائبهُ وقد انتابتهُ البهجة والسرور . وقال : إن الإمام الحسن

العسكري (عليه السلام) حضر في عالم الرؤيا وقال لي : (كن مطمئن البال ، لقد أوصينا بك الميرزا) وفي الصباح جاءني رسول الميرزا بكتاب كتبه إلى الملاّ كني يوصيه فيها بمساعدة السيد ، ولما أعطى السيد الكتاب إلى الملاّ كني في طهران اهتم الأخير بالأمر اهتماماً بالغاً وتمكن أثره من استرجاع الملك المغتصب .

هذا ما أردنا إيرادهُ من القصص المفيدة ـــ بإذنه سبحانه ـــ في هذا الكتاب ، لعل الله ينفع به كما نفع بنظائره ، وأسألهُ سبحانهُ الأجر والثواب وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

سبحان ربك ربِّ العزّة عمّا يصفون ، وسلامٌ على المرسلين ، والحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

قم المقدسة

محمد الشيرازي

١٤١٦هـ

١ ـــ رضي الدين أبو القاسم علي بن سعد الدين إبراهيم ويكّنى بن طاووس ، نسبة إلى جده الأعلى أبي عبد الله ينتهي نسبه إلى الإمام المجتبى بن الإمام أمير المؤمنين (عليهم السلام) . ولد في محرم سنة ٥٨٩هـ وتوفى في الخامس من ذي القعدة سنة ٦٦٤هـ ودفن في النجف الأشرف وكان من العلماء الإجلاء والمشهورين في زمانه . ترك عدة مؤلفات منها : ملاحم الفتن ، فلاح السائل ، سعد السعود ، فرج المهموم .

٢ ـــ ابن المتوكل العباسي الذي قتل أباه سنة ٢٤٧هـ وأصبح خليفة بعده .

٣ ـــ رضا خان ارمني من منطقة كرجستان هاجر إلى إيران في زمن القاجار ، واصبح وزيراً للحربية في حكومة أحمد القاجاري ، وأطاح بهم ولقّب نفسه بالبهلوي ، ولد سنة ١٢٩٥هـ ، إتّسم حكمه بإحياء القومية الفارسية ونشر المذهب البهائي والقضاء على المعالم الإسلامية وهدم المساجد والمدارس ، ومنع رجال الدين والفكر من ممارسة أدوارهم في الحياة ، ونشر مظاهر الفساد كالخمر والقمار ودور البغاء ، نفاه الإنجليز إلى جزيرة موريس سنة ١٣٥٩هـ بعد أن صادروا حقائبه الألفين المملوءة بالمجوهرات والأشياء الثمينة بعد حكم دام ستة عشر عام وقتل في منفاه سنة ١٣٦٣هـ .

٤ ـــ من العلماء الكبار في آذربايجان نفاه رضا خان من آذربايجان إلى مناطق أخرى من إيران ، ثم جاء إلى مدينة قم المقدسة وتوفى فيها .

٥ ــ وهي إحياء مراسم عبادة النار ، بأن تضرم النار على قمّة جبلين ثم يقدمون العسكر لها الاحترام العسكري .

٦ ــ جاء في القرار : إن قانون إصلاح الأراضي هو ما عملت به البلدان الإسلامية قبلنا كتركيا والباكستان.. ولابدّ من مراعات مصلحة البلد بدل مصلحة بعض عبيد المال .

٧ ــ كما كانت للبروجردي مواقف أخرى منها : وقف ضد الاستعراض السنوي للطالبات بملابس قصيرة الذي دعى إليه الشاه ، واعتبر الشاه ذلك اليوم يوم حركة المرأة في إيران ، مما أدى إلى وقف ذلك الاستعراض . ومنها ما قاله رداً على استهزاء زوجة الشاه برجال الدين ، حيث قال ( ما لها وللدين ) . ولما وصل الخبر إليها اعتذرت ، و لم يتكرر منها بعد ذلك مثل هذا الكلام .

٨ ــ السيد أبو القاسم بن السيد مصطفى الحسيني الكاشاني : ولد سنة ١٣٣٠هـ وتوفى سنة ١٣٨١هـ ، شارك في ثورة العشرين وكان عضواً في المجلس العلمي الذي شكّله الإمام الشيرازي لقيادة الثورة كما كان له باع طويل في نصرة الثورة ، وبعد انتكاسة الثورة طارده الإنجليز فهرب إلى إيران ، وكانت له مواقف مشرفة في إيران من قضية تأميم النفط . يعدُ من تلاميذ الشيخ محمد تقي الشيرازي والشيخ محمد كاظم الخراساني والميرزا حسين الخليلي .

٩ ــ السيد محمد بن علي المجاهد الطباطبائي نجل صاحب الرياض وسبط الوحيد البهبهاني ، ولد في كربلاء سنة ١١٨٠هـ وتوفى سنة ١٢٤٢هـ ، وكان عالماً جليلاً ومدرساً معروفاً ، وكانت له مواقف سياسية مشرّفة ، فقد تصدّى للغزو الروسي لإيران وتحرك مع قافلة من العلماء إلى طهران للدفاع عن بلاد الإسلام ، وتوفى وهو يقوم بمهمة الدفاع ودفن في كربلاء . من مؤلفاته : مفاتيح الأصول، المصابيح في شرح المفاتيح ، المناهل ، الأغلاط المشهورة .

١٠ ــ لا يخفى إن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد أخذ البيعة على الشهادة الثالثة في غدير خم.

١١ ــ هو شقيق المرحوم السيد عبد الله البهبهاني من كبار علماء المشروطة .

١٢ ــ ويطلب رسالته ويدعّي انه أحد مقلديه . وعندما توفى الشيخ الحائري منع الشاه إقامة مجالس الفاتحة على روحه .

١٣ ــ سورة آل عمران : الآية ٨٤ .

١٤ ــ من الواضح أن مراد السيد ابن طاووس بالعادل : الذي لا يظلم الناس ، لا العادل بالمعنى الاصطلاحي الشرعي .

١٥ ــ وكان من العلماء المعروفين في عصره ، ولد في كرمانشاه سنة ١٢٨٠هـ وترك عدة مؤلفات .